سياحة حديثة في الصعيد

للبحث عن الآثار المسيحية القديمة

للاب ميشال جوليان اليسوعي

١

لا يجهل من لهُ المام بتاريخ نسّاك القرن الرابع للمسيح ان مفاوز الصعيد اضحت عامرة زاهية بعد ان نشر فيها بولا الناسك وانطونيوس الكبير لواء الزهد والتعبد. فتقاطر المسيحيون من كل فجّ وأوب الى تلك الأقفار وعمروا فيها اديرةً اشبه بقرى واسعة او مدن زاهرة انقطعوا فيها الى خدمة الله. وكان عددهم لا يزال ينمو مع الايام حتى انَّ الدير الواحد كان يشتمل على ٤٠٠٠ راهب او اكثر فخيف من انَّ حواضر مصر تُصبح قفرًا بعد هذه المهاجرة العجيبة

على انَّ بين هؤلاء رجال الله قد امتاز راهب اطرأ في ذكرهِ قدماء المؤرخين على اختلاف بلدانهم ولغاتهم ألا وهو الانبا يوحنّا المصري ذكرهُ كاسيان (في مباحثاته ١: ٢١ و ٢٩) وسُلپيس ساويرس (المحاورة ١ ف ١٣) وپالاديوس (في تاريخهِ ف ١٤٣) والقديس اوغسطينوس (في كتاب مدينة الله ك ٥ ف ٢٦) وروفينوس (في تاريخ الرهبان ك ٢ ف ١) وتاودوريطس (ك ٥ ف ٢٤) والمؤرخ سوزومان (ك ٦ ف ٢٨). وقد دعاهُ هؤلاء الكتبة وغيرهم باسماء مختلفة فمنهم من يدعوهُ يوحنا الصغير وبعضهم يسمّيهِ يوحنا السيوطي ويوحنّا المصري ويوحنا المطيع. وقد اثبت البولنديون في اعمال القديس (٢٧ آذار و ١٧ تشرين ١) انَّ هذه الاسماء انما تدل على مسمًّى واحد

وقد ابقى يوحنا المصري آثارًا لا تزال تنطق عن فضائله منها شجرة من اللبعة (styrax) تُرى اليوم في برية نطرون وارقة الافنان عند مدخل دير قديم استولى عليه الخراب يدعوها رهبان القبط راهل بادية الصعيد شجرة الطاعة. وقد جاء خبرها في تاريخ سلبيس ساويرس قال: انَّ رئيس هذا الدير لمَّا اتاهُ يوحنا المصري لينتظم في سلك رهبانه اخذ عصاتهُ وكانت من اللبعة فغرسها في الارض وامر الطالب الجديد ان يسقيها كأنها نصبةٌ حيَّةٌ الى ان تزهر وكان الرئيس يريد بذلك اختبار طاعة تلميذه. فامتثل يوحنا امرهُ بسذاجة عجيبة وداوم على ذلك ثلاث سنوات دون ان يتردَّد في العمل حتى اظهر الله فضل عبده فاخضرَّت العصاة ونبت فيها ورق ثم اكتست بالزهور. وقد شهد بهذه المعجزة قوم من الأعلام الأثبات ممن عاينوا الامر وتحققوا صحَّتهُ. وقد رحلنا نحن ايضًا قبل بضع من السنين لتفقُّد هذه الشجرة وكتبنا مقالة عمَّا سمعناهُ وشاهدناهُ (١)

على انَّ للانبا يوحنا المصري آثارًا غير هذه طلبناها في جوار اسيوط. لانَّ تاريخهُ يفيدنا عنهُ انهُ بعد زمن قضاه في ادیرة النطرون انتقل الى القفر المجاور لاسيوط ليصرف فيهِ حياتهُ بالعيشة النسكيَّة والزهد التام منفردًا عن البشر. فوجد على مسافة ميلين منها مغارة صعبة المرتقى منقورة في الصخر فدخلها وتحصَّن فيها دون ان يفتح بابها لاحد الَّا ليلاديوس المورخ الذي سطَّر ترجمة حياتهِ (في الفصول ٤٣—٤٦ من تاريخهِ). ودخل يوحنا هذا الكهف سنة ٣٤٦ ولهُ من العمر ٤٢ سنة وعاش فيها منقطعًا الى الله سنة ٣٩٤

فهذه المغارة المباركة التي قدَّسها رجل الله بممارسة جميع الفضائل مدة ٤٨ سنة تستحق اكرام المؤمنين ولا ريب ان المسيحيين لو عرفوها لهجُّوا اليها وتبركوا بزيارتها. على ان صروف الزمان ونوائب الدهر توالت على هذه البلاد فاخفت على تلك الآثار الجليلة وجعلتها نسيًا منسيًّا لا يعرف بوجودها احد. ولمَّا راجعنا ما كتبهُ دليل «بديكر» في هذا الصدد وجدنا ما فتَّ في عضدنا وكاد يقطع املنا من اكتشاف هذه المغارة فانهُ يؤكِّد انهُ لا سبيل لمعرفة مقام القديس يوحنا المصري وان مغارتهُ كنخاريب الجبل العديدة لا تمتاز عنها في شيء.

(١) راجع كتابنا المدعو «مصر» ص ٤٨. واعلم ان سلبيس ساويروس لم يذكر اسم الراهب الذي جرت على يدهِ هذه المعجزة غير ان كاسيان صرَّح باسمهِ وان كانت روايتهُ مختلفة

وكذلك لم نجد بين اهل اسيوط احدًا يرشدنا الى ضالّتنا فانَّ سكّان هـذه البلدة غائصون في امور عالمهم لا همّ لهم بمثل هذه المباحث. والكاثوليك منهم قليلو العدد لا يتجاوزون الاربعمائة تراهم ضائعين بين ٤٥,٠٠٠ نفس ممن يقطنون البلد ولم يخطر على بالهم ذكر الانبا يوحنا ليتفقدوا آثاره

بيد اننـا مع ذلك لم نيأس من اكتشاف منزل القديس فاخذنا نراجع التواريخ القديمة لعلّنا نقف فيها على الاعلامات الكافية لتحديد المكان والاطلاع عليه. فجمعنا من ذلك ما جمعنـا لاسيما من تاريخ پلاديوس الذي زار قدّيسنا في حياته ووصف مسكنه

ثمّ اخبرتُ عن قصدي اخوة المدارس المسيحية الذي كنت نازلًا عندهم في اسيوط فاحبوا ان يرافقوني ويبحثوا معي عن منسك ولي الله

واول ما تحققناهُ انَّ كهف يوحنا المصري لم يكن كهفًا طبيعيًا لان هذه الكهوف الطبيعيّة تحفرها المياه الجارية وهنا لا اثر للماء. فبقي ان نبحث على كهوف نقرها الناس في ام الصخرة. غير انَّ مثل هذه المغاور عديدة جدًا في جوار اسيوط منهـا في الجبل المطل عليها يراها المسافر من بعيد على ثلاثة صفوف مستقيمة. ومنها في الآكام التي تنتصب جنوبيّ المدينة وغربيها. ومنهـا اخيرًا في اعالي الصخور التي تضغط مياه نهر النيل على مسافة ساعتين من المدينة

وان سأل سائل عن اصل هـذه الأغوار وهل نقرها سيّاحُ الصعيد في الصخر ليسكنوها. اجبنا انما كانت هذه المغاور في ايّام الفراعنة مقالع اتخذ منها ملوك مصر حجارتهم لمبانيهم العظيمة. ثمّ جعلها بعدهم اهل المدن مدافن لموتاهم ونقشوا عليهـا النقوش والكتابات الهيروغليفية. ولمّا ضاءت انوار النصرانيّة في مصر وكثر عدد النسّاك كنت ترى الحبساء ينقطعون الى الله في هذه المغاور فيجعلون فيها سكناهم. ولنا على ذلك شواهد لا تُنقَض وهي الصلبان التي تزيّنها والكتابات المسيحيّة المخطوطة على جدرانها كالادعية والصلوات وآيات الاسفار المقدسة

هذا ولم نحاول التفتيش عن مقام الانبـا يوحنا المصري في جبل اسيوط المشرف عليها لان هذا المكان قريب من المدينة لا يوافق ما دوّنهُ پلاديوس المؤرخ عن وعورة المكان وتعيين مسافته

امَّا المقاور الواقعة عند جهات الاكام التي في جنوب المدينة وفي غربها فانها تطابق قول المؤرخ بلاديوس من حيث المسافة اذ هي تبعد عن اسيوط نحو ساعتين. ولكنها لا تنطبق عليه من حيث صعوبة المرتقى ووعورة المسلك وهي اشبه بالمدافن منها بكهوف لسكنى العبَّاد. وما لا ريب فيه ان فوق هذه الرُّبى الجنوبية آثارًا عديدة للنصرانيَّة من ابنية ومدافن. وقد وجد فيها المهندس الفرنسوي دوبوا ايمي (Dubois-Aymé) احد علماء بعثة نابوليون الاول (١ توابيت من خشب الجميز فيها جُثث غير محنَّطة وجُمع كونها اجسام السياح الذين تنسَّكوا في هذه الاماكن مع النصارى الذين احبوا ان يُدفنوا هناك بجوار مناسك الرهبان. وكانت هذه الاجسام سالمةً لم يعمل فيها الفساد. ومما يزيد زعم المهندس المذكور آثار دير قديم يدعوهُ الاهلون « دير العظم » اشارة الى القبور التي اتخذها المسيحيون في هذا المكان. امَّا المقاور المنقورة في الصخر فهي نادرة في هذا المحل

٢

فلم يبقَ لنا سوى الصخور المُمتدة التي على جانبي نهر النيل. فعمدنا اولًا على زيارة الضفة الشرقيَّة لكثرة ما في صخورها من المقاور وآثار الاديرة القديمة. فخرجنا باكرًا من اسيوط ومشينا عند سفح الجبل في طريق سهلة افضت بنا بعد ثلاثة ارباع الساعة الى قرية أدْرنكا فاجتزنا في وسط مقبرة النصارى وتأثرنا من حسن هندامها وسُرورنا لاكرام الاهلين لموتاهم. ومما أعجبنا مدافن مقبَّبة بيضاء شيَّدها الموسرون من الاقباط لذويهم. امَّا بقيَّة القبور فهي محدَّبة مطلية بالكلس في رأس كل منها خمس اجرَّات على هيئة صليب. وللكاثوليك في هذه المقبرة مكان خاص يُحدق به حائط يصونهُ وترى بين قبورهم صليبًا كبيرًا يفيء بظلهِ الراقدين بالرب فجئنا هناك وصلينا عند قبرَيْ مرسلَيْن من الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة التي حافظت وحدها مدَّة قرون مديدة على كنز الايمان في هذه البلاد جازاها الله الف خير

ثم اخذنا نتوغَّل الجبل بين الصخور. فكان اول كهفٍ تفقَّدناهُ مدفنًا كبيرًا في منعطف الجبل تُبر فيهِ في سالف الزمان احد القراعنة. وهذا الكهف منقور في الصخر

(١ راجع كتاب Description de l'Egypte, T, XV, p. 203, 2e ed.

واسع الارجاء. كانهُ الحجرة الرحبة وعلى جانبيهِ غرفتان صغيرتان وهناك جرن كجرن العماد الذي يستعملهُ الاقباط. ولا مراء انَّ بعض السياح سكن هـذا المدفن فصار من بعدهِ معبدًا

ثم واصلنا سيرنا بين تلك الصخور فوصلنا بعد ربع ساعة الى قرية حقيرة تُدعى دير أذرنكا يسكنها الآن نحو ٣٠ عائلة قبطيَّة من صعاليك القوم واسم الضيعـة يدلُّ على انها كانت سابقًا ديرًا للرهبان. ولها اليوم كنيستان الواحدة منقورة في الصخر والاخرى في سفح الجبـل على اسم العذراء. وليس لدير أذرنكا الآن كاهن يقوم بامورها الروحيَّة

وجنوبيَّ المدينة مقالع قديمة العهد متَّسعة الارجاء. يبلغ طول بعضها ميلًا ومئة متر فدخلناها لعلَّنا نجد فيها آثارًا مسيحية. فلم يُجدنا البحث نفعًا الَّا ان هذا المكان مطلّ على السهل تُرى منهُ اسيوط ومبانيها ومآذنها مع ما يحدق بها من خضرة المزارع والجبال الجاورة لها ونهر النيل الجاري قريبًا منها. فاثلج هذا المنظر صدورنا واقرَّ عيوننا وانعش قوانا فنزلنا من هذه الآكام وجرينا مسرعين في السهل الى ان لاحت لنا بعد ساعة قرعةٌ أخرى مع آثار مائلة من دير قديم اصبح اليوم ضيعـةً صغرى فوجب قلبُنا لهذا المنظر وشعرنا اننا اوشكنا على ادراك المرغوب. لانَّ موقع هذا الدير ومسافتهُ من اسيوط وصعوبة مرتقاهُ تطابق ايَّ مطابقة ما كتبهُ بلاديوس عن مغارة الانبا يوحنا المصري

فرقينا في شِعْب من الجبل وعر المسلك افضى بنا الى درج منقور في الصخر متقن العمل وجدنا في اعلاهُ اهل القرية قد اجتمعوا مع راعيهم لاستقبالنا. فرحّبوا بنا واكرموا مثوانا واعلمونا ان اسم الضيعة دير ريفة. ثم رافقونا في زيارة كنيستهم وما يكتنف بها من الآثار القديمة. وما استلفت نظرنا في بادئ الامر باب القرية فلحظنا ان عتبتهُ العليا صفيحة قديمةٌ من الرخام عليها نقوشٌ جميلة من الطرز البوزنطي وعلى اطرافها آيات من الكتاب المقدس بالقبطيَّة. ووراء هذا الباب معبرٌ معوجٌ على شبه الكوع ذكَّرنا بمداخل الحصون والقلاع الحزيزة. فلمَّا اجتزناهُ وصلنا الى ساحة الدير القديمة ثم صعدنا منها الى سطح شُيّدت الكنيسة بازائهِ

وكان في وسط السطح مقرأةٌ عليها كتاب ضخم مجلَّد برقّ الغزال وهو مكتوب بالقبطيَّة وكان خطهُ جميلًا قديم العهـد وعلى حواشيهِ نقوشٌ مذهبة وتصاوير بالوان

ناصعة فلم نشك انهُ من عمل قدماء الرهبان. وقد جُعلت المقرأة على السطح ليجتمع حولها اهل القرية ويصلّوا مع كاهنهم صلوات جمعة الآلام. وهذه الصلوات طويلة جدًّا عند الاقباط اليعاقبة فآثروا ان يصلّوها على السطح لان كنيستهم مظلمةٌ لا يجري فيها الهواء.

اما الكنيسة فلم نجد فيها شيئًا يستحق الذكر الّا ان فرق عتبتها نقوشًا تمثل اشخاصًا من الشجر مع صور حيوانات شتى. وداخلها منقود في الصخر الصلد يتركّب من عدّة غرف جُمع بينها على هيئة الكنائس القبطيّة الحالية وانما كانت في سالف الزمان مجبزة لدفن الموتى. وامام القدس مشبك (شرّيّة) جميل من الخشب صغير التقاطيع لهُ بابان مرصّعان بالعاج قد كُتب بهِ على باب الشمال: «اننا نسجد لك ايها المسيح الهنا» وعلى باب اليمين: «السلام لهيكل الله ابينا»

ولمّا انتهينا من زيارة هذه الكنيسة التي لم نستفد منها ذكرًا للقديس يوحنا المصري سألنا اهل القرية أيعرفون غير هذه الكنيسة؟ فأرونا قريبًا من هناك صخرًا كبيرًا مقطوعًا قطعًا عموديًّا وفي وسط الصخر مداخل واسعة تُفضي الى معبدٍ دعوهُ المعبد الروماني فهرعنا اليهِ يتنازعنا عاملا الخوف والرجاء. واجتزنا في كوخٍ لعجوز استغربت مرورنا في دارها حتى بلغنا الغار. فاذا بمداخلهِ الثلاثة مزدانة بكتاباتٍ مصريّة قديمة ولها رواق يظلّلها. والمداخل متسعة تفصلها سوارٍ مثمّنة الزوايا. امّا الكهف فبالغ الاتساع طولهُ نحو ٢٥ مترًا في عرض ١٠ امتار وعلوّ ٦ امتار. والردهة الوسطى منهُ تُقسم الى ثلاثة اقسام اولها رواق طولهُ خمسة امتار ثم حُجرتان طول كل واحدة منهما عشرة امتار. والرواق منفصل عن الحُجرة الوسطى بسوارٍ ضخمة. امّا الحجرتان فبينهما حائط من الصخرة والرواق اعلى من الحُجرتين بنحو متر ونصف. وسقف الغار سويّ عليهِ نقوشٌ بتقاطيع هندسيّة تشبه اجمل ما وجدنا من ذلك في هياكل المصريين الاقدمين. غير ان سقف هذا المكان مسودٌّ بالسناج. وقد ميّزنا بين نقوشهِ عددًا وافرًا من النجوم الزرقاء الخمسة الاطراف (١). وفي الردهة الكبرى في نصف قسمها الشمالي

(١) راجع خواصّ هذا النجم وسناهُ في كتاب وصف مصر Jomard : *Description de l'Egypte*, VII, 419.

معبد قديم بُني بالحجارة وهذا المعبد متّجه الى الشرق على مثال المعابد القبطيّة القديمة. وهو المعبد الذي دعاهُ اهل القرية بالمعبد الروماني

وسألنا هؤلاء القرويين أبلغ سمعهم اسم الانبا يوحنا وهل يعرفون لهُ اثرًا في هذا المكان فكان جوابهم انكاريًا. وغاية ما يعلمون من امر هذا المقام وأغوارهِ ومعبدهِ انهُ محلٌ مقدّس اكرمهُ اجدادهم وعظّموهُ الى عهدهم

على انَّ جهل هؤلاء القوم لم يُلقِنا في الريب عن صحّة ما اكتشفنا لاننا وجدنا انَّ هذا الغار اشبه شيء بما وصفهُ بلاديوس حيث قال عن منزل القديس يوحنا انهُ يتركّب من رواق وحجرتين. وذلك يوافق تمامًا ما نراهُ هنا. وكذلك اخبر بلاديوس ان رجل الله كان ابتنى حائطًا يفصل الرواق عن مَنسكهِ الداخلي. وكان لا يفتح نافذة هذا الحائط لزوارهِ الّا يومي السبت والاحد. وآثار الحائط المذكور باقيــة حتى الآن. امّا السواري التي عنــد المدخل فيُرى عليها صلبان منقوشة غير متقنة النقش رسم صورتها الزوّار الاقدمون

امّا قول القرويين انَّ المعبد الذي في داخل الغار يُعرف بالمعبد الروماني فترجّح انهُ دُعي بذلك لكثرة ما كان يتردّد على الانبا يوحنا من اعيان الرومان ليتبرّكوا بادعيتهِ ويطلبوا مشورتهُ. وممّا اشتهر بهِ الانبا يوحنا روح النبوة فانهُ كان يخبر الولاة الرومانيين بما يتهدّد الدولة من الاخطار. وروى القــديس ارغــطينوس (في كتابهِ عن الموتى ف ١٢) والسنكســار الروماني (في تاريخ ٢٧ اذار) انهُ سبق وبشّر تاودوسيوس الكبير بانتصارهِ على مكسيم واوجان الطاغيتين

واخبر بلاديوس انهُ لمّا زار القديس وجد عنــدهُ الوالي الروماني أليبيوس فاضطرَّ الى ان ينتظر زمنًا طويلًا قبــل ان ينتهيا من حديثهما فضجر بلاديوس لذلك وامتعض في باطنــهِ فعرف يوحنا خفيّ افكارهِ فارسل اليهِ ترجمانهُ تاودورس يقول لهُ: «ما لك تتبرّم ضجرًا ألا تعلم قول الرب انَّ الــسقماء هم المحتاجون الى طبيب لا الاصحاء؟ هذا رجلٌ اتى اليَّ وهو في غاية الحاجة الى نصائحي وليس لهُ سوى وقت قصير ليفكّر في امر خلاصهِ. امّا انت فانك طول دهرك لا تفتكر بغير الخلاص»

وبعد ان فحصنا هذا الغار وتفقدنا كل زواياه خرجنا وقلبنا طافح بالفرح لما وجدنا هنا من آثار احد مشاهير اولياء الله. ولمّا عدنا الى الضيعة حفّ حولنا اهلها فرحين وكانوا

يريدون ان يدخلوا في منازلهم التي اكثرها مدافن قديمة اصلحوها لسكناهم. ومن غريب ما شاهدنا ان صخور هذه القرية وجدران منازلها كلها مغطاة بطين تزج سمكهُ قدمٌ ونصف كلهُ مركب من اوكار الزنابير فهذا الملاط الاسود يكدّر منظر الضيعة ويجعل بينها وبين بياض الجبل تبايناً عظيماً. ولعلَّ كثرة الزنابير التي في انحاء الصعيد هي التي حملت قدماء المصريين الى ان يتخذوا النحلة او الزنبور كشعار لمصر العليا كما انهم اختاروا البردي للدلالة على مصر السفلى

وبعد هذه الزيارة أتوا لنا الوداع اهل دير دينة بعد ان فرّقنا عليهم صابوناً صغيرة سُرّوا بها سروراً هم بانفس الهدايا ولم يطالبنا احد منهم بالبخشيش كما هي العادة في هذه البلاد

٣

وكان اهل دير دينة اعلمونا انَّ على مسافة ساعة من قريتهم من جهة الجنوب عند الطرف السهل ديراً آخر. فنوينا زيارتهُ لرغبتنا في الآثار النصرانيَّة

واحبَّ رجلٌ من دير دينة ان يرافقنا ليدلَّنا على الدير المذكور. ففي اثناء مسيرنا اردنا نقداً من النقود التي لا يزال اهل البادية والسودان والحبش يستعملونها حتى يومنا ويؤثرونها على سواها. وهذا النقد على اسم مريم تريزا ملكة النمسا وهو التلاري (Talari) وثمنهُ كالمجيدي. وكنت منذ زمن طويل اطلب نقداً من هذا الصنف فسرَّني وجودهُ وابتعتهُ بثمن خمسة فرنكات بنيف عن ثمنهِ المعهود. وهذا النقد يمثل في احد وجهيهِ صورة العذراء مريم حاملةً فوق ذراعيها طفلها الالهي وهو يمسك بيدهِ كرة العالم وفي يد البتول اليسنى صولجان الملك وفي دائرة النقد قد كُتب ما تعريبهُ: « مريم ام الله شفيعة هنغاريا سنة ١٧٥٢ ». اما الوجه الآخر ففيهِ صورة مريم تريزا الملكة. وهذا التلاري يُضرب حتى عهدنا هذا في مصر

الريال المستعمل في السودان

وبلاد أخرى لمعاملة الأعراب واهل السودان والحبشيين

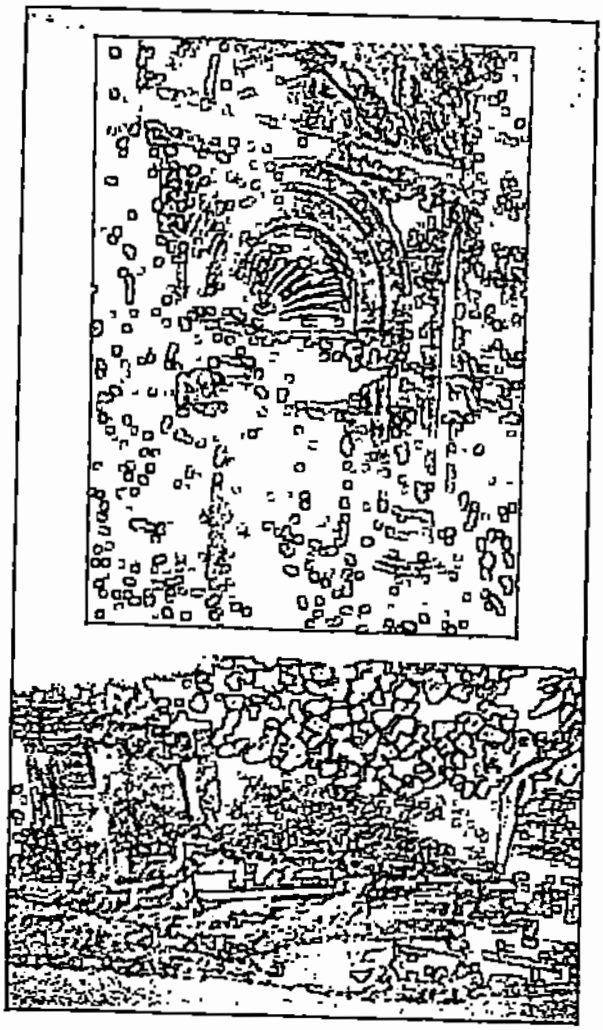

١ حنية كنيسة الدير الاحمر قرب سوهاج مع كراها ذات المثلثات الثلاثة
٢ مدخل عمارة الانبا يرحنا المصري في دير ريفة

١٠٦٤

وما عتمنا بعد ساعة ان وصلنا الى الدير الذي دُلِلْنا عليهِ على طرف المزارع في الرمل ولهذا الدير سور مرتفع مربع الشكل مكعمد اللون لما يعلوهُ من الملاط الاسود الموصوف آنفاً. وليس لهُ سوى باب ضيق يُدخل منهُ الى داخلهِ. فما طرقنا هذا الباب حتى اسرع اهلهُ وفتحوهُ واستقبلونا بكل لطف وانس. واسم هـذا الدير حالياً دير الزاوية وليس فيهِ رهبان وانما احتلَّهُ قوم من الأقباط اليعاقبة فجعلوا سكناهم في دارهِ الواسعة وقد ابتنوا لكل عائلة بيتاً ونظَّموا البيوت وفصلوها عن بعضها بالازقة على شكل القرى العامرة. وكنيستهم هي كنيسة الدير القديمة يجتمعون فيها للصلاة بيد انهُ لا راعي لهم ولذلك سرُّوا بنا ايَّ سرور واخذوا يتوسَّلون الينا لنبقى عندهم كاهناً منَّا يرشدهم في سُبل الفضيلة والدين. حقَّق الله رغبة هذا القطيع المهجور بارسالهِ اليهم كاهناً كاثوليكياً يضمُّهم الى حظيرة الرب

وكنيسة هذه القرية غاية في الحسن تضيئنا منها العجب. وهي كنيسة كبيرة ذات ثلاثة اسواق على مثال الكنائس الغربية لها اعمدة ضخمة مبنية بالآجرّ الاسود مع خطوط بيض تجمع بينها وفوق الاعمدة قُبب لطيفة. وحنيَّة هذه الكنيسة بديعة النقش لها طنف ناتئ وصفَّان من الكوى مزدانة بعمد صغرى في اعلاها ثلاثة مثلَّثات اشارة الى سرّ الثالوث الاقدس. وكنا لحظنا مثل هذا في الدير الاحمر قرب سوهاج وكنيستهُ من اقدم الكنائس المصريَّة. هـذا وان كرور الاجيال توالى على كنيسة دير الزاوية فطمس قسماً من محاسنها واخرب جانباً من مبانيها. اما تاريخ الدير فلم يُفدنا عنهُ احد علماً. وقد دُعي الدير في عهدنا بدير الزاوية لموقع قرية قريبة منهُ تُعرَف بالزاوية. واذا لحظنا الكنيسة وهندستها ونقوشها وجدنا انها تُشبه كل الشبه كنيستي الديرين الشهيرَين الدير الاحمر والدير الابيض بجوار سوهاج فتكون من عهدهما. ومما لا ريب فيهِ انها سبقت تاريخ الهجرة

ولمَّا انتهينا من سياحتنا هذه راجعنا ما رواهُ مشاهير كتبة العرب في ادبرة النصارى القديمة لعلنا نجد ذكر الاديرة الثلاثة التي زرناها. فتصفَّحنا خطط المقريزي وتاريخ الشيخ ابي صالح الارمني وكتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقاق فلم نجد في هذه التآليف ما يشفي الغليل. ولا غرو فان العرب لمَّا فتحوا بلاد مصر استنكفوا من اسمائها الاعجميَّة التي لا توافق لغتهم فابدلوها بما هو اقرب للسانهم

ومما يفيدنا ابو صالح الارمني (ص ١١٤) انَّ على مقربة من اسيوط ديرًا اسمهُ « ابو يحنس ويعرف بابشاي ». فاسم يحنس كيوحنَّا ولا يبعد انهُ أراد بهِ دير ريفة الذي وجدنا فيهِ محبسة الانبا يوحنَّا المصري. وذكر المؤلف نفسهُ ديرًا آخر بجوار اسيوط دعاهُ دير « بابسويا » قال ان موقعهُ بين ريفة وبين قرية اخرى سقط اسمها من نسخة كتابهِ. وعلى ظنّنا ان هذا الدير هو دير الزاوية الذي تنقَّدناهُ. وكذلك كتب ابو صالح عن دير آخر قرب اسيوط ما نصُّهُ: "دير على اسم السيدة العذراء الطاهرة مرتريم ويُعرف بدير ابو (كذا) الحارث". فنرى انَّ الدير المذكور هو دير ادرنكا الحالي وقد قلنا ان بقربهِ كنيسة على اسم العذراء الطاهرة

هذا ما حصلنا عليهِ من امر هذه الاديرة. ونتمنى ان العلماء يواصلون البحث في جهات اسيوط عن الآثار المسيحية وهي كثيرة في تلك الجهات. وكفانا شاهدًا على ذلك انَّ ياقوت الحموي روى في معجم البلدان (١ : ٢٧٢) عن بعض اهل اسيوط في زمانهِ انَّ في هذه المدينة وحدها ٧٥ كنيسة للنصارى

ابو العلاء المعرّي

للشيخ الفاضل اللغوي سعيد افندي الشرتوني

قد كان هذا الشاعر الفيلسوف القادم الدنيا في القرن الرابع للهجرة الراحل عنها في القرن الخامس (١ المضروب بهِ المثل في قوة الحافظة كثيف النظر ملازمًا منزلهُ مكفيًا همَّ الارتزاق مولعًا بالادب يطيل النظر في الاديان وأُصولها واغراضها واحوال القائمين عليها وسير رؤسائها فيتولَّاهُ الشك او الكفر تارةً ويراجعهُ اليقين أُخرى فتصدر عنهُ في كل حال من حاليهِ ابيات تمثّلهُ شاكًا او كافرًا وأُخرى تمثّلهُ مؤمنًا. غير ان الناس اقتصروا من شعرهِ في الدين على ما ينبئ عن مروقهِ او كفرهِ كابيات رواها ابو الفداء الحموي في تاريخهِ (٢ وقضى عليهِ بالكفر بسببها ولم اسمع من احد في

١) كانت ولادة ابي العلاء سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٣م) وتوفي سنة ٤٤٩ (١٠٥٧)

٢) راجع تاريخهُ المطبوع في الاستانة (الجزء الثاني ص١٨٥)

هذه الاطراف من المشتغلين بحفظ الشعر بيتاً لهُ يدلُّ على تديُّنهِ وتُقاهُ مع انهُ من الزهد والادب بالمكان المكين. ولمّا تصفّحت لزومهُ منذ ثلاثة أعوام عثرت لهُ على ابيات كثيرة تنطق بانهُ كان مؤمناً حين نظمها وقد نقلت جملةً منها احببتُ ان يذرّ على القرّاء من ناحية المشرق وهي هذه:

عجبي الطبيب بجسمه في الحفا ... اني من بعد دوسهِ التثريبا
ولقد علم المنجّم ما يو ... جب الدين ان يكون صريبا
رب روح كثائر القفص المسجون ترجو بموتها التقريبا

وقولهُ: لا ريب ان الله حقٌّ فاعملوا ... بالحزم انفسكم على مرناجا
عدّوا تنوب من الذنوب خوالجٌ ... قبل اعتراض الموت دون مناجا

وقولهُ: اذا وفّت لتجار المحامد فائدةٌ ... فاجعل مع الله في دنياك متّجرا

وقولهُ: فلا تنسَوُا الله الذي لو هُديتمُ ... الى رشدكم ما زال منكم على ذكرِ

وقولهُ: ازول وليس في اخلاقي شكٌّ ... فلا تبكوا عليَّ ولا تبكُوا

وقولهُ: اما الجاور فارعهُ وتوقّهُ ... واستعف ربّك من جوار الملحدِ
ليس الذي جحد المليك وقد بدت ... آياتهُ بأخٍ لمن لم يجحدِ
اركع لربك في ضحاك واسجدِ ... واذا اطقت تهجّداً فتهجدِ

وقولهُ: محمودنا الله والمحمود خالقهُ ... فدعّ عن ذكر محمودٍ ومحمودِ

وقولهُ: تعالى الله كم ملك مهيبٍ ... تبدّل بعد قصرٍ ضيقَ لاحدِ
اقرُّ بانَّ لي ربّاً قديراً ... ولا ألقى بداهتهُ بجحدِ

وقولهُ: والعفوَ أملُ من رجّى اذا حضرتْ ... نفسي وفارقتُ عُوّادي لاعوادي

وقولهُ: مولاك مولاك الذي ما لهُ ... ندٌّ وخاب الكافرُ الجاحدُ
آمن بهِ والنفس ترقى وان ... لم يبقَ الّا نفسٌ واحدُ
ترجُ بذاك العفوَ منهُ اذا ... ألحدتَ ثم انصرف اللاحدُ

وقولهُ: فلا يُضعِ الله المساعيَ في التقى ... فمن يسعَ فيها لا يخف غبنَ الخسرِ

وقولهُ: اخو الدين من عادى القبيح واصبحت ... لهُ حجزةٌ من عفّةٍ وازارُ

وقولهُ: خالقٌ لا يُشك فيهِ قديمٌ ... وزمانٌ على الانام تقادمْ

وقولهُ: ومغفرةُ الله مرجوّةٌ ... اذا حُبست اعظمي في الرمِمْ
فيا ليتني هامدٌ لا اقومُ ... اذا خضروا ينفضون اللممْ
وجاءت صحائفُ قد ضمّنت ... كبائرَ آثامهم واللممْ
اذا مدحوا آدميّاً مدحـ ... ـتُ مولى الموالي وربَّ الاممْ
لهُ سجد الشامخ المشمخرُّ ... على ما بعرنينهِ من شممْ

وقولهُ: تحلَّ بتقوى او تحلَّ بعفّةٍ ... فذلك خيرٌ من سوارٍ وخلخالِ

وقولهُ: ان تثو في دار الجنان فانما ... فارقتَ من دنياك نارًا تحتدمْ

هذا ولا يقدح في ايمانهِ ما جاء لهُ من الطعن في بعض الوعّاظ من اهل عصرهِ لما كان يرى فيهم من الحرص على الدنيا والكلَف بجمع حطامها وذلك كقولهِ:

طلب المعاش وارتقى في منبرٍ يصفُ المعاب لامةٍ ليهولها
ويكون غير مُصدّقٍ بقيامةٍ امسى يمثّل في النفوس ذهولها

فلا يلزم عن الرمي بالزندقة ان يكون الرامي زنديقًا كما لا يخفى

تبرئة ابي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء

ملحق النبذة السابقة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

اننا نشكر جناب الشيخ الفاضل واللغوي الشهير سعيد افندي الشرتوني على ما جمعهُ في نبذتهِ من الشواهد الناطقة بتديّن ابي العلاء المعري بيد اننا كنّا وددنا لو حاول الكاتب النحرير ان يحلَّ مشكلًا صعبًا وهو ان يبيّن كيف امكن رجلًا من مقام ابي العلاء المعري ان يتردَّد بين الكفر والدين ويتلوَّن كأبي براقش يومًا بلون الحق ويومًا بزيّ الباطل

ولا نشك ان جناب الشيخ لو تصدَّى لهذا البحث لأبان الرغوة عن الصريح. وان يسمح لنا نعمل النظر في هذا الامر فنقول:

اننا لا ننكر انَّ في ديوان ابي العلاء المعرّي المعروف بلزوم ما لا يلزم ابياتًا اذا سمعها السامع أفتى لاوّل وهلةٍ انَّ قائلها زنديقٌ لا يعبأ بالدين. بيد انَّ في هذا الديوان نفسهِ ابياتًا غيرها فيها تلوح شعائر الدين كالشمس في رائعة النهار منها ما اوردهُ جناب الشيخ سعيد آنفًا وغيرها كثير لا يسعنا ذكرها لضيق المجال. أفيكفي القول لشرح هذا التضادّ انَّ المعري تردّد بين الصدق والكذب وبين الباطل واليقين

لا لعمري فان هذا التضادّ لا يطابق ما كتبهُ عن المعرّي اهل زمانهِ من زهدهِ في الدنيا وورعهِ وتقاهُ وصبرهِ على العمى حتى انهُ كان يقول (انيس الجليس ١: ٢٧٩): « انا احمد الله على العمى كما يحمدهُ غيري على البصر ». فمن يقول انَّ زنديقًا ينطق بمثل هذا القول المنبئ بصبرٍ جميل على اعظم محن الدهر

وزد على ذلك انَّ ابن خلكان وغيرهُ من المؤرخين ذكروا ان العلماء والوزراء واهل الاقتدار فضلًا عن الطلبة كانوا يفتخرون بصداقته ويكاتبونهُ ويسيرون اليه من الآفاق ليسمعوهُ ويأخذوا عنهُ فهل يمكن القول انَّ مثل هؤلاء استطاعوا ان يخالطوا رجلًا ملحدًا كافرًا ؟ وكذلك اخبر الحافظ السلفي انهُ لما توفي المعرّي رثاهُ نحو مائة وثمانين شاعرًا منهم فقهاء ومنهم محدّثون ومنهم صوفية وقد ترجم الحافظ باسمائهم فكيف اتفق مثل هؤلاء ارباب الدين ان يمدحوا زنديقًا مأبونًا في دينهِ . فبقي علينا ان نطالب وجهًا للدفاع عن شرف المعري فنقول مستندين في قولنا الى اصدق الادلّة :

١ً انهُ لمكن انَّ المعري قال في شبابهِ بعض الابيات المؤذنة بفساد المعتقد ورواها عنهُ بعض اصحابه الّا انهُ تاب عنها بعدئذٍ وصرّح عن اعتصامهِ بالدين . وهذا وجه حسن لحلّ هذه الأُعوبة ويدفع عن المعرّي معرّة الكفر . وقد قيل انَّ التوبة تكفّر عن الحوبة

وليس رأينا هذا محض اختلاق بل رواهُ ابن الوردي في تاريخهِ (١ : ٣٦٠) نقلًا عن كتاب دفع المعرّة عن شيخ المعرّة حيث قال انهُ وجد المعرّيَّ في ديوان لزوم ما لا يلزم مذبذبًا حائرًا في الدين لكنَّ الكتب التي ألّفها بعد ذلك خصوصًا ضوء السقط تُصلح هذا الفساد وتوضح رجوعهُ الى الحقّ وصحّة اعتقادهِ . وضوء السقط خاتمة كتبهِ والاعمالُ بخواتمها

٢ً انَّ اقوالًا كثيرة نُسبت الى المعرّي وهو بريء منها . فكان اعداؤهُ وحسّادتهُ ينظمون ابياتًا كفريّة فيشيعونها على اسمهِ ليبخسوا قدرهُ . قال صاحب ترجمة المعري في صدر ديوانهِ لزوم ما لا يلزم (الطبعة المندّية) : « اعلمْ ابا العلاء كان في زمان مثل زماننا هذا يعني كل امرئٍ انكر المنكر فيرمونهُ بسوء الاعتقاد ليغروا بهِ الملوك كما قال الامام ابن حزم : « انا طريد الملوك لاني اقول الحق ولا أُبالي » . وقال صاحب انيس الجليس (١ : ٢٧٩) : انَّ تلامذتهُ وغيرهم كانوا يعملون على لسانهِ الاشعار ويضيفونها أقاويل الملاحدة قصدًا لاتلاف نفسهِ . ويشهد على هذا قولهُ :

حاول إهوانيَ قومٌ فما راجتهُم الّا بإهوانِ
وقوّلوني بقالاتهم فنبّروا . نبّة اخرانِي
لو استطاعوا لوشّوا بي الى المرّيخ في الشهب وكيوانِ

وكان يقول ايضا (ابن الوردي ١ : ٣٦٠) : « انا شيخ مكذوب عليهِ » . فان صحّ

هذا القول فلا غرو ان نجد في شعره أقوالاً توذن بفساد عقيدته وقد دسّوها في كتبه ظلماً. لكن الانسان ليس بمسؤول الّا عن اعمال يديه

٣ قد راجعنا كثيراً من الابيات التي استند اليها الرواة ليرموا ابا العلاء المعريّ بالزندقة والكفر فوجدنا لشرحها وجهاً صوابياً ليس فيها من الالحاد ما زعم هؤلاء كقوله:

النفس عند فراقها جثمانها عزونةٌ لدروس ربع عامر
كحمامة صيدت فشتّت جيدها اسفاً لنظر حال وكر دامر

فزعموا انّ هذا القول ينفي البعث ومن تأمّلهُ بعين الصواب لا يجد فيه شيئاً من ذلك. فان تشبيهُ للجسم بعد الموت بالوكر الدامر لا ينفي اعتقادهُ بالبعث يوم القيامة ولهُ ابيات كهذه ظاهرها الانكار ومن نقدها يجد انّ المعري لا يجحد البعث نفسهُ وانما ينكر شيئاً من أحوال المبعوثين

وكذلك لم يستحسنوا للمعرّي قولهُ عن المنجّمين:

يتجسون وما يدرون لو سُئلوا عن البعوضة أنّى منهمُ تقفُ

وقولهُ: سلطانك النار ان تعدلْ فنافعةٌ وان تجُرْ فلها خيرٌ واحراقُ

وقولهُ عن قضاء الله:

قضى الله فينا بالذي هو كائن فتمّ وضأت حكمة الحكماء
وهل يأبق الانسان من ملك ربهِ فيخرج من ارضٍ له وسماء

ولكل هذه الابيات معانٍ صحيحة لا تخفى على البصير. قال كمال الدين ابن العديم في رسالتهِ المسماة دفع التجرّي على المعرّي ذكر فيها محاسن هذا الشاعر وفضائلهُ وقال فيها: «انّ سائر ما في ديوانهِ من الاشعار الموهومة فهي اما مكذوبة عليهِ او هي مؤوّلة كما اوّلوا كلام محيي الدين ابن العربي وغيره من الصوفيّة»

٤ ومما يبرّئ ابا العلاء من وصمة الكفر ان لهُ اقوالاً كثيرة يهجو بها المرائين ومن يتخذ الدين كوسيلة لغايات شخصيّة لا لوجه الله وكذلك تراهُ يندّد بخرافات دخلت في بعض الاديان وهي من الدين مناط الثريّا. كقولهِ:

رأيتُ جماعات من الناس أُولعت باتيان اشياء استحال ثبوتها
وقولهِ: اذا رام كيداً بالصلاة مقيمها فتاركها عمداً الى الله أقربُ
وقولهِ: افيقوا افيقوا يا غواةً فانما دياناتكم مكرٌ من القدماء
أرادوا جماجم الحطام فادركوا وبادوا وماتت سنّة اللوماء

فبقوله « غواة » خصَّص اهل الديانات الباطلة . ومن ذلك ابيات رواها ابو الفداء اولها:

عجبتُ لكسرى وأشياعهِ وغسل الوجوه ببول البقرْ ...

ومنها ايضاً قولهُ عن الاحاديث الضعيفة التي لم يروِها الائمة:

جاءت أحاديث ان صحَّت فانَّ لها شأناً ولكنَّ فيها ضعفُ إسنادِ
فشاورِ العقلَ واترك غيرهُ هدرًا فالعقل خير مشيرٍ ضمَّنهُ الهادي

فترى من هذه الأقاويل ان ابا العلاء لا يطعن في الاديان بل يردُّ ما يجد فيها مضادًّا للعقل السليم (١ او ما كان مخالفاً لمبادئ الدين الحق

ومن عجيب الامور ان الخصام المعري نسبوهُ الى الالحاد لانهُ امتنع ٤٥ سنة عن اكل اللحم وقالوا انهُ تذهب بمذهب الهنود الذين يحرّمون ايلام الحيوان. واستندوا في هذه الشكاية الى بعض اقوالهِ المبهمة. وقد ردَّ عليهم تلميذهُ ابو الحسن علي بن همام لمَّا وناهُ بقولهِ:

ان كنتَ لم تُرِق الدماء زهادةً فلقد أرقتَ اليوم من جفني دما

ولو تمعَّن هؤلاء المنتقدون لوجدوا في هذا البيت تفنيدًا لما زعموا لانهُ بقولهِ « لم تُرِق الدماء زهادةً » بيَّن انهُ امتنع عن اكل اللحم زهدًا بلذاذ الدنيا والشهوة الحلال

وكذلك زعموا انهُ لم يحلِّل الزواج الشرعي بقولهِ:

على الوُلد يحني والدٌ ولو أنهم ولاةٌ على امصارهم خطباء

ومثلهُ قولهُ وكان اوصى ان يُكتب على قبرهِ:

هذا جناهُ ابي عليَّ وما جنيتُ على احدِ

غير ان مثل هذه الاقوال تدخل في باب العتاب على الدهر وآفاتهِ وليست هي مذهباً كفريًّا . وقد جاء مثل ذلك في كثير من الشعراء وفي سفر ايوب البار لمَّا لعن يوم ميلادهِ وتمنى لو لم يكن بُشِّر ابوه بولادتهِ

هذه وجوهٌ اربعة نعرضها على الادباء ليبرّئوا بها ساحة ذاك الشاعر المفلق من معرَّة

---

(١) ولعلَّ ابا العلاء توهم الخطأ في بعض الديانات فردَّ على ما لم يدرك صحَّتهُ. من ذلك ما كتبهُ عن عقائد النصارى (راجع انيس الجليس ١ : ٣٨٢) وقد فنَّد قولهُ المطران جرمانوس فرحات وغيرهُ

الزندقة فعساها ان تحوز لديهم قبولاً ليفحموا بهـا ملحدي زماننا اذا ما حاولوا والتجأوا الى اقاويل ابي العلاء رجاء ان يؤيدوا بها كفرهم. صان الله شرقنا العزيز من هذا الوباء وعواقبه الوخيمة

ما ورثهُ اهل العراق

عن الاشوريين والكلدانيين العتـاق

بقلم حضرة الدكتور نابليون ماريني (تتمة)

الزيُّ

اذا تفرسنا اليوم في واحد من سكَّان العراق وانعمنا النظر في زيّهِ لرأيناهُ مركَّبًا من ثلاث قطع وهي: قميص وقبـاء (ويلسان العراقيين «زبون») وعباءة. فالقميص يُتَّخذ من الخام البسيط الابيض اللون او الازرق ينزل الى ما تحت الركب بقليل. والقباء هو من القطن المغزول او من الصوف ينزل الى ما تحت القميص. والعباءة كلهـا من الصوف الخالص او من وَبر الابل تغطي القباء كلهُ. وعلى رأسهِ العرقجين (اي العرقيَّة) وعلى هذا العرقجين ملفوف الشماغ (كوفيـة من القطن الابيض المغزول يتخلَّلها نقط منسوجة من قطن ازرق اللون او احمرهُ) على هيئة العمامة. والبعض يستعمل الطربوش عوضًا عن العرقجين والعقالَ عوضًا عن العمامة

اما الاغنياء والمتوسطو الحال فيزيدون قطعة رابعة على ما سبق ذكرهُ وهي اللباس (او السراويل) الذي يغطي عورة الانسان ويلبسون القباء المنسوج بالحرير او بالكتَّان والعبـاءة من وبر الابل تزيَّن نصفَها الاعلى نقوش ذهبيَّة او تطريز بالقصب الحلبي ويتَّخذها البعض من الجوخ الفـاخر او من الحرير الطبيني النادر الوجود وهو ما يسمونهُ «بالجيناوي»

ويلبس اغلب العراقيـين في ارجلهم ما يسمونهُ «باليَمَني» وهو حذاء خفيف الحَمل لا كعب لهُ ولا سيور. نعلهُ من جلد الجاموس او من جلد البعير والبقيَّـة من جلد الماعز او الغنم المصبوغ بالاحمر او بالاصفر او بالاسود. والمتوسطو الحال من اهل البادية

يلبسون « الچدك » وهي جزمة طويلة الرقبة تصل الى ما تحت الركبة بقليل لها كعب خفيف ولها سيور وتعلها من جلد البقر او الجاموس والبقيَّة من جلد الماعز او الغنم ولونها اما الاحمر او الاصفر وفي اعلى رقبتها معلَّقة شرَّابة من القطن او من القصب . والنساء منهم يلبسنَ بابوجاً اصفر فوق الجزمة

وجميع العراقيين قاطبةً يرخون اللحية والشارب الَّا انَّ الحضر يجزُّون شعر الرأس بخلاف اهل البادية الذين يجدلونهُ جدلاتٍ رفيعة عديدة متساوية العدد مسترسلًا على الرقبة والاكتاف . ومنهم من يضع القرط في الآذان ومنهم من يحلي جفون الصبي بالكحل وخصوصاً النساء فالكحل عندهنَّ من لوازم الزينة . وكذا الوَشم فانهنَّ يشمنَ الوجه والايادي والرجل . ويندر في العراق وجود من لا يَشِم جلدهُ وعلى الخصوص من لا يَشِم ذراعيهِ لان ذلك عندهم من ضروب كمال الرجوليَّة . ومن هذه الكماليات ايضاً حمل الخاتم سواء في اليد او في الجيب وسواء يعرف حاملهُ القراءة او يجهلها اذ لا مندوحة عنهُ لتوقيع السندات والرسالات والاوراق الخ . وكل من يكون عاطلًا منهُ يُلقَّب بالجاهل وبناقص العقل ويُوبَّخ بعدم معرفة اصول التمدن

وولدان المدن والبادية من ذكر وانثى يلبسون الدمالج والمعاصم من الذهب او الفضة او الزجاج او الكهرباء ويتخلخلون بخلخال من الذهب او الفضة وكذا النساء قاطبةً من اسلام ونصارى ويهود يلبسنَ الخلخال او الحِجال في الرجل ولا ينزعنهُ ظنًّا منهنَّ انهُ من علامات حسن الحظ ومجبوحة العيش والرفاهيَّة . ويتقلَّدنَ حول الرقبة الطوق من الذهب او من اللؤلؤ او من المرجان او من الكهرباء او من الحجارة الكريمة واغلب المسلمات يجعلنَ البُرَة في الانف وكثيرًا ما يقع نظرك على صبيان لابسين الطوق والبرَة في الانف

اما زي النساء فلا يختلف عن زي الرجال الَّا بقليل فانهنَّ يلبسنَ القميص والدراعة والعباءة السوداء اللون مع السراويل او يلبسنَ الداريَّة والفستان عوضاً عن الدرَّاعة . اما نساء البادية قاطبةً مع طائفة من الحضريَّات فلا يلبسنَ السراويل بل يكتفينَ بالدارية الزرقاء اللون والعباءة من الصوف ويغطينَ الرأس بالصدار وهو شيء من النسيج اسود اللون لحمتهُ الصوف او القطن طويل الاطراف ينزل الى الظهر من وراء والى القسم

الاعلى من الصدر والاكتاف بحيث انهُ يغطي كل الرقبة والذقن والجبهة وهذا الغطاء غير معروف عند اليهوديات ولا عند المسيحيات

فاذا امعنَّا النظر في زي الاشوريين والبابليين في سابق الزمان لرأيناهُ يطابق كل المطابقة زي العراق الحاضر يشهد على ذلك هيرودوتس وصور العاديات الاسطوانية الشكل التي يُرى عليها ان لبسهم كان يتركَّب من ثلاث قطع ايضاً: قميص من كتان ينزل الى الرجل عليهِ قباء من صوف وفوق هذا توضع العباءة البيضاء (١

والمسيو لنورمان يخبرنا عن ان غطاء الرأس كان اما رباطاً بسيطاً يربطون بهِ شعورهم الطويل. واما عمامة من صوف يلفونها لفَّات حول الرأس (٢

وفي متحف العاديات البريطاني قطع تمثل موسيقياً يدق بالصنوج على رأسهِ عمامة. وفي متحف لوفر الفرنسي قطعة ثانية تمثل شخصاً معتماً وجدها المسيو دي سارزق في اخربة تلّو (Tell-loh) قبيل البصرة. والمسيو لَيَرْد يفيدنا عن ان الاسرى في زمان البابليين والاشوريين كانوا يلبسون في ارجلهم الجزمة او اليمنيَّة والنساء كنَّ يتركنَ الرأس بلا غطاء ويسدلنَ الشعر على الاكتاف او يسترنهُ بغطاء طويل ينزل الى الظهر (٣

وفي المتحف البريطاني قطع عديدة تمثل اسرى لابسين الجزمة في الرجل والرأس مكشوف او مغطى بعرقيَّة لها آذان تنزل على الاصداغ او على آذان الرأس. وكان الاشوريون والبابليون من نساء ورجال ومن صغار وكبار ومن فقير واسير يلبسون القرط في الآذان او الاسورة في الايدي وكانت المادة تختلف باختلاف طبقاتهم اعني بذلك ان القرط او الاساور تكون اما من ذهب واما من فضة واما من حجارة كريمة او من نحاس الخ نظراً لحال الانسان وغناهُ. ويستنتج من ذلك ان فنَّ الصياغة كان موجوداً عند القدماء لا بل وكانوا من البارعين فيهِ ايَّ براعة اذ لم تزل بقاياهُ محفوظة الى يومنا هذا عند الصُبَّة (الصابئة) وهم قوم يتعيشون اليوم فقط من هذه الصناعة

وفي المتحف البريطاني تمثال الملك شمسي رمان الثالث (Samsi-Raman III) وفي

(١ Hérodote : l. I, t. 186

(٢ Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T. IV, p. 128

(٣ Layard : *Monuments*, 2ie série p. 10, 11, 12, 15, 18, 49

رنديه الاساور وصورة الملك سنحاريب بثيابهِ الرسمية جالساً على عرشهِ ولابساً الاساور والقرط وقد وُجدت في اخربة برج نمرود. ومثل ذلك تمثال الملك نازربال (Nazirpal) وصورة الملك سرجون التي وجدت في اخربة خُرْساباد ولا حاجة الى سرد التماثيل والصور كلها اذ المقام يضيق دون ذلك

هذا وفرنسوا لنورمان يخبرنا عن ان الاشوريين والبابليين كسائر الشرقيين في عصرنا هذا يعتنون كل الاعتناء باللحية وبشعر الرأس. فانهم كانوا يتركونهما ينبتان حتى يبلغا اقصى الطول ثم يجدلونهما جدلاتٍ عديدة دقيقة غريبة الشكل فكان الواحد منهم يحب ان يترك رأسهُ مكشوفاً وبلا عَمْرة ولا يصرف النظر عن جدل لحيتهِ وشعر رأسهِ. وبعض الصور التاتنة الملوَّنة تحقق للباحث على انهم كانوا يصبغون جفونهم بالكحل الاسود حسب ما هو جار اليوم عند عموم الشرقيين (١

ومن المؤلفين في هذا الشأن من ينقل لنا ان اولئك البابليين لم يكونوا يجدلون شعر لحيتهم وشعر رأسهم فقط بل كانوا ايضاً ينظمونهُ لؤلؤاً او حلقات من ذهب او كانوا يعلقون باطرافهِ سلاسل رفيعة من ذهب او من فضة او قطعاً مدوَّرة الشكل منظومة بخيط الواحدة فوق الاخرى حتى يتألف منها عقدٌ طويل. وهذا النوع من الزينة موجود حتى يومنا في عراقنا بين الجنس اللطيف وهو ما يسمونهُ بالقراميل. فاذا سرت في الطريق او دخلت كنيسة سمعت صوت القراميل تطنّ بالآذان يرادفها او يرافقها صوت الخلخال

اما الطوق فكان عند القدماء من افخر الملابس واكبر إنعام يمنحهُ الملك للناس وعلامة الجاه والابهة والاقتدار وكان يتقلدهُ الوجهاء واكابر الدولة كالوزراء والقوَّاد والحكَّام وخصوصاً الملوك والملكات . وكان اذا أراد الملك مثلاً ترفيع شخص الى أرج الشرف امر بان يقلَّد طوق الذهب الذي لا يعلوه شيء من الاحسان ولا تسبقهُ رتبة في الامتنان وان يُطاف بهِ في المدينة على مرأى من الشعب كلهِ

وفي كتاب فرنسوا لنورمان إلمام الى الطوق اذ يقول: «. . واغلب الاوقات يلبس الملك اساور في ايديهِ وطوقاً في رقبتهِ. . .» (٢

(١ Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T. V p. 128

(٢ Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T. V p. 128

قال الكتاب المقدس: « وصنع باشاصر الملك (بن نبوخذنصّر) وليمة عظيمة لألف من عظمائهِ . . . وصرخ الملك بصوتٍ شديد ان يدخلوا المجوس والكلدانيين او المنجمين وأجاب الملك وقال لحكماء بابل: كل من يقرأ هذه الكتابة ويبين تعبيرها يلبس الارجوان وينقلد طوق ذهب في عنقهِ الخ . . . حينئذٍ امر بلشصر فألبس دانيال الارجوان وقلّد طوقَ الذهب في عنقهِ . . . » (سفر دانيال ٥: ١ و ٧ و ٢٩)

قلنا فُوَيق هذا ان الطوق لم يزل استعمالهُ دارجاً بين العراقيين ويكون على أنواع شتّى اما من ذهب او من لؤلؤ الخ. ولكن طوق الذهب محصور استعمالهُ اليوم بين النساء اليهوديات فاذا أراد مثلاً وجهاء اليهود تزويج بناتهم احضروا قبل كل شيء طوق الذهب الواجب على العروس حملهُ طول حياتها السعيدة ولا تنزعهُ عنها الّا في اوقات الحزن فقط

ولا يبعد من ان يهود العراق حافظوا على لبس طوق الذهب تذكاراً لدانيال النبي اليهودي لتفسيره رؤيا بلشصر ملك الكلدانيين والكل يعلم ان الملة اليهودية هي الاولى بين سائر الملل التي تحافظ على تقاليدها بحرص لا مزيد عليهِ وكما ان دانيال كان من جملة العبرانيين المسبيين الى بابل على يد نبوخذنصر فلاجل ذلك أبقى يهود العراق هذا الاثر دون سائر يهود العالم الذين لا يستعملونهُ لا بل انما يجهلون ذكرهُ كل الجهل. وأزيد على ذلك ان بقية العراقيين من اسلام ونصارى وغيرهم اخذوا عن اليهود استعمال الطوق من اللؤلؤ او من الكهرباء الخ كما سبق التفصيل عنهُ

« وكاني بابرهيم الخليل عليهِ السلام عند سفرهِ من حرّان الى بلاد الكنعانيين بامر الله تعالى كان لابساً عباءة حمراء اللون وعلى رأسهِ عمامة مربوطة برباط من جلد لكي تتمكّن فيهِ وبيدهِ الرمح وكان عبيدهُ يحملون الاحمال والعُروض على ظهر الحمير والابل البراكة. ويجمعون شمل قطعان الغنم والماعز المتشتتة. ونساؤهُ كنّ حاملات الاولاد على اظهرهنّ ولابسات الخلخال في الارجل والاساور في الايدي والاقراط في الآذان والبُرى في الانوف وفي اعناقهنّ قلائد الكهرباء والخرز والمرجان والحجارة المالسة. وعليهِ فمنذ اربعة آلاف سنة كانت الازياء والمعيشة كما هي اليوم. اي ان زي ومعيشة ابراهيم الخليل ولوط

اخيهِ ونساءهما كزيّ ومعيشة واحد من مشايخ العرب العائشين اليوم في البادية بدون ادنى تغيير البتَّة » اه (١)

ومن الممكن ايضاً ان العراقيين اخذوا استعمال الطوق عن البابليين انفسهم كما اخذوا عنهم اشياء غيرها. اذ ان اولئك القدماء كانوا يلبسون الطَّوق من الحجارة الكريمة كالعقيق والزبرجد او من الخرز او من الحجارة الاسطوانية الشكل واذا ماتوا قبروا معهم تلك القلائد وسائر الامتعة الفاخرة التي كان يتزيَّن بها اولائك الاشخاص في ايام حياتهم

وقبل اربع سنوات كان الاب شيل (Scheil) يحفر بامر شاهاني في اخربة قاعدة مملكة الكلدانيين وهي التي تسمى اليوم « ابو حبَّة » وبلسان الاشوريين اكَّد فكان يجد في قبور ذلك الجيل مع العظام البالية مدفونًا امَّا طوقًا من العقيق او من الكهرباء او من الخرز وامَّا قلائد منظومة كلها من الحجارة الكريمة الاسطوانية الشكل وامَّا خلاخيل من النحاس او حجالًا من الحديد او النحاس وامَّا صينيات نحاسيَّة فيها فناجين وكاسات وخواتم من نحاس وامَّا خواتم من الحجارة الكريمة كما يفعل ذلك في ايَّامنا اغلب العراقيين حتى نصاراهم فانهم يدفنون مع الميت افخر ثيابهِ واثمن حليهِ كالحابس والخواتم وطوق اللؤلؤ والملاءة الخ

الحرب والاساحة

لا غرو ان الاشوريين والبابليين لجيلٌ مفطور على حب السلب والنهب وخصوصاً ميَّال الى الحرب ولا بد منها في كل سنة في الربيع او الخريف والملك الذي لا يحارب لا يُنزَّل منزلة مالك عندهم وربَّما خلعوه عن كرسيهِ او قتلوهُ كما تؤكد لنا ذلك تواريخهم ولذا ترى كلَّ ملك جديد يتربَّع دستَ مملكتهِ باشر للحال حربًا عوانًا ضد اعداء والدهِ او اجدادهِ. ولا يقرّ لهُ قرار حتى يأخذ بثارهِ وامَّا يموت في ساحة القتال فداء لشرفهِ وشرف امَّتهِ. وهذه المزية جعلت سائر الامم ترهب ملوك اشور وبابل رهبًا لا مزيد عليهِ واكتسبت لهم ايضاً شرفًا واقتدارًا وسطوة حتى خُيِّل لبعضٍ منهم انهم آلهة كما فعل بختنصر الملك وسرجون الاول وغيرهما

ومن فروض الملك ان يرافق جيشهُ الى ساحة الوغى وان يتولى بنفسهِ أوامرهُ لا بل

(١) Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T. VI. p. 143, 144

اذا اقتضى الحال ان يسبقهُ ويحارب في صفوف امَّتهِ كواحدٍ منهـا . واذا بُلي بمرضٍ او اعترتهُ مصيبة او شغلتهُ حوادث مهمَّة تسلَّم مركزهُ المشير الاعظم وهو المسمَّى بلغتهم التُرْتانو (turtanu) ومعناهُ القائد الكبير وقد جاء ذكرهُ في سفر اشعيا النبي حيث يقول: « في السنة التي وفد فيها ترتان الى أشدود اذ ارسلهُ سرجون ملك اشور الخ » (الفصل العشرون) ١ :

وقلَّما كان ملوك الاشوريين والبابليين يسلِّمون قيادة الجيش الى الترتان الَّا فيما ندر وذلك حذرًا من الخيانة او الطمع الذي يستولي على عقلهِ ويحدث ما يحدث كما جرى لشلمناصر الخامس لمَّا كان يحاصر مدينة صور وكان الترتان سرجون يقاتل في السامرة فوسوس شيطان الكبرياء في صدره فجاهر بالعصيان واستبدَّ بالملك وراح الى نينوى واستوى على العرش وترك وراءه شلمناصر يحرق الأرض كدرًا وغمًّا

وزد على ذلك ان كل ملك اشوريًا كان او بابليًّا لا يتولى قيادة جيشهِ بذاتهِ يصبح مرذولًا ومكروهًا في اعين رعيَّتهِ وتقضي شرائعهم بعزلهِ لا محالة اذ في عقائدهم ان الآلهة هي التي تسلِّم المملكة للملك وفي الوقت نفسهِ تمنحهُ الشجاعة والبطش والجأش. واذا تفرَّست في صور ملوك ذلك العصر اخذ منك الرعب كل مأخذ فنظر عيونهم الحملقة العابسة تحدِّثك عن قساوة قلوبهم وانقباض وجوههم يكشف لك عمَّا هو كامن في داخلهم من الشراسة ورباط الجأش وهيئة أنفهم الأقنى الكبير الحجم وشفتهم السفلى العريضة تُنبئانك عن دعارتهم وميلهم الى سفك الدماء . اما قوة عضلاتهم فانها لشئونيَّة اذ ترى بضربة هراوةٍ واحدة ان الملك اشوربانيبال هرس نخاع سبع كان قد هجم عليهِ ليفترسهُ . هذا وتجد اليوم في شيوخ عرب العراق وخصوصًا في امراء اكرادهِ كلَّ ما وصفنا بهِ الملوك القدماء. ويشهد لنا بذلك العلامة مينان في كتابهِ عن اليزيديَّة حيث يقول: اني لأشك كل الشك في ان اصل الاكراد يرجع الى الاشوريين لكني لا اشك قط ان طباعهم وعوائدهم تشبههم كل الشبه ولا التباس فيها » اه (١

ولم يوجد على عهد الاشوريين والبابليين في وقت السلم عسكري واحد يقتات من خزينة الملك كما هي العادة اليوم في البلاد المتمدنة بل كانت العادة عندهم ان يتقدم

(١) Joachim Menant, : *les Yezidiz ou les adorateurs du diable*, 1892 p. 179

الى ساحة القتال كل ذكر بالغ يستطيع حمل السلاح. والسلاح كان من جيب الاشوري الخاصّ وليس من كيس الملك ولهذا كانت الرعيّة مستعدّة للحرب في اي وقت يصدر الامر الملكي كما هو مألوف اليوم عند عرب العراق واكراده. فلو رغب مثلًا الملك الذهاب الى القتال الساعة رافقتهُ للحال كل رعيّتهِ ومعهُ سائر الملوك المهادنين لهُ والخاضعين لصولجانهِ بجميع جيوشهم وذخائرهم ومعدّاتهم. وتقضي القواعد على الملك الاشوري ان يسبق الكل ويتقدم ويجري امام جيشهِ راكبًا عجلتهُ الملكية بيدهِ القوس والنشاب وعن يمينهِ يقف الترتان لابسًا التاج وعن يسارهِ يقوم معاون الترتان ويسمى عندهم بالسلتانو (sultanu) ومن ورائهِ ينتصب خدميٌّ ماسكًا بيده المظلّة الملكيّة مفتوحة فوق رأسهِ. وهؤلاء الاشخاص الثلاثة لا يفارقون ملكهم ابدًا في زمن الحرب ولا يركبون الّا على عجلتهِ ولا يحاربون الّا بجانبهِ واذا اقتضت الحاجة يفدونهُ بانفسهم ويذبّون عنهُ كل خطر ووبال. ويُحيط بالملك ايضًا عند انتشاب القتال الحرس الملكي وهو عبارة عن نخبة شبان الشعب كلهم من الجبابرة الصناديد ولا يتركون سلاحهم لا ليلًا ولا نهارًا إنْ في زمن السلم وان في زمن الحرب ومن اهمّ واجباتهم المحافظة على حياة الملك. وكم وكم من انقلاب وانتهاك حرمة صدرت عنهم في داخل القصر الملكيّ. وكم من قتل مالك واقامة غيرهِ في مكانهِ كانوا هم السبب والآلة. وهاك ما قال عنهم اشعيا النبي في فصلهِ الخامس: " فيرفع رايةً للامم من بعيد ويصفر لامّةٍ من اقصى الارض فاذا بها مقبلة بسرعة وخفة. ليس فيها رازح ولا ساقط لا تنعس ولا تنام. لا تحلّ مناطق احقائها ولا تفكّ شراك نعالها. سهامها محدودة وكل قسيّها مشدودة تحسب حوافر خيلها صوّانًا وعجلاتها إعصارًا لها زئير كاللبوءة وهي تزأر كالاشبال وترزمر وتخطف الفريسة وتستخلصها وليس من ينقذها » (٥: ٢٦ — ٣٠)

وبعد الرجوع من الحرب يوزّع الملك الغنائم والاسرى على العشائر والامراء والملوك الصغار كل حسب اجتهاده وجهاده في ساحة القتال. ولم تزل هذه العادة جارية الى هذا اليوم عند اهل البادية. فالشيخ مثلًا اذا دعا قومهُ الى الغزو لبّتهُ للحال اتباعهُ وسائر الشيوخ المصادقة لهُ وعند رجوعهم يتقاسمون الغنيمة والاسلاب كل حسب استحقاقهِ

وكان العسكر الاشوري ينقسم الى ثلاث فرق: فرقة المشاة وهم القوّاسة وفرقة الخيالة وهم الرمّاحة وفرقة راكبي العجلات وهم حاملو السيف والترس وعلى الجيش

ان يطيع قوادهُ طاعة عمياء. وجميع الحركات والاوامر الحربيَّة كانت تصدر من الملك وحده وتلك الاوامر كانت تجري بنظام غريب واحكام عجيب حتى دفع هـذا الامر فرنسوا لنورمان الى القول: « ان الجيش الاشوري لم يُغلب قط في زمانهِ حتى ولا مرَّة واحدة » (١

اما سلاح ذلك الجيل فكانت تتوقف على الرمح والسيف والترس والخنجر والدرع والدبوس والقوس والنشَّاب والمقلاع ولدينا شهادات تثبت وجودها بكل صحَّة

من ذلك انك ترى في متحف العاديات البريطاني صورة ناتئة وُجدت في اخربة قيونجك تمثل رجالًا ستة بايديهم المقاليع وبجنبهم الحصى في عهد الملك اشوربانيبال (٦٢٥ ق م) وهؤلاء الرجال هم من الفرقة الممتازة بهذه الوظيفة

وكان الخيَّال الاشوري يركب دابتهُ حافي الرجلين بلا سرج ولا ركابات عاري الساقين والذراعين وقلما كنت ترى تحتهُ نمرقة تغطي ظهر الدابة ومثل هذا الامر جارٍ الى يومنا هذا عند عموم العراقيين وخصوصاً عند أعراب البادية اذ انهُ من العار عليهم ان يركبوا دابة مطهَّمة او مسرجة ومن يفعل ذلك يُعدّ من الخنثين

ان المقوار (ويُلفظ المكوار) وهو الدبوس الذي برأسهِ كتلة هو عندي من اقدم الاسلحة التي استعان بها الانسان الاول عند الخاطر للدفاع وكان يُتَّخذ كلهُ من الحديد او رأسهُ من قير وبده من الخشب او كلهُ من الخشب وكان الاغلب منهم يتخذ الكتلة من القير وبدهُ من الخشب وذلك لسهولة صنعهِ ورخص قيمتهِ وخفَّة حملهِ وقوة فعلهِ مع صغره قال الملك اشوربانيبال عن نفسهِ: « بينما كنت اتصيد وقعتُ على سبع فقبضت على ذنبهِ وبقوة الالهين « آدار ونرغل » طحتُ نخاعهُ بضربة مقوار واحدة »

وفي متحف العاديات البريطاني صورة ناتئة وُجدت في اخربة قيونجك تمثل حربًا بين الاشوريين والعيلاميين. وهناك ترى عددًا من العساكر الاشوريَّة يقاتلون وبايديهم المقاوير (المكاوير) وتلك الواقعة حدثت نحو السنة ٦٦٨ ق م. وفي ذلك المتحف ايضاً صورة ناتئة تمثل صفًّا من العسكر الاشوري حاملًا الترس والرمح وُجدت ايضاً في اخربة قيونجك

(١ Lenormant : *Hist. Anc. des peuples de l'Orient*, T, V. p. ٢٤

قال هيرودوتس واصفاً سلاح الاشوري: والاشوريون كان لهم خود نحاس مسرودة ومشبكة بطريقة غريبة صعبة الوصف وحرابهم وتراسهم وخناجرهم تشبه تقريباً سلاح المصريين وفوق ذلك كانوا يحملون دبابيس خشب لها كتل من حديد ودروعاً زردية الخ » (١

ولا يزال السواد الاعظم من العراقيين يستعملون الى يومنا هذا القوار والرمح والسيف والخنجر والقلاع وقلما تجد حارساً او ناطور بستان او رجلاً من البادية بلا مقرار مشكوك في منطقته وبلا خنجر معلق على جنبه. واذا مررت في طرق بغداد او في براريها تشاهد مراراً بايدي الصبيان مقاليع يرمون بها الطير او يقاتلون بها بعضهم بعضاً ودوي طيران الحجر في الهواء يطن في زوايا الآذان مما يذكرنا بحرب القدماء. بهذه اللمحة — هذا ما رأينا جمعهُ من عادات الاشوريين التي ورثها عنهم العراقيون ولو تتبعنا احوال الشعبين لوجدنا غير ذلك كثيراً وفي هذا كفاية

القديس يوحنا فم الذهب واللغات الشرقيّة

نبذة للاب عنحي لانس اليسوعي

ورد في التأليف الحديث الذي وضعهُ حضرة الخوري ميخائيل غبرئيل وهو « تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانيَّة المارونيَّة » ما نصُّهُ (ص ٥٢٥) : « كان فم الذهب من انطاكية من الأمة السريانيَّة ». فرأينا ان نبحث في هذه العجالة عمَّا يتضمَّنهُ هذا الزعم الجديد من الصحة

اذا تصفَّحنا أعمال هذا المعلم الجليل وفخر الكنائس الشرقيَّة وجدنا انَّ كتبة ترجمتهِ اجمعوا على انهُ وُلد في انطاكية ونشأ فيها. غير اننا لم نعلم من امر أسرتهِ الَّا القدر القليل. فاننا نجهل اصلها هل كانت كمعظم اهل سوريَّة من العنصر الارامي (٢

(١ Hérodote II, I. 7-1861

(٢ ان تفرُّع شعب سوريًّا من العنصر الآرامي رأيٌ دافع عنها ائمة المستشرقين كالسماني وريتودوت والخوري مرتين وايبود (A. Amiaud) والاب پاريزو البندكتي والدكتوران يكل

او من غيره. فانهُ لمكن ان يكون اصلها من الأمة السوريَّة ولكن لا دليل على ذلك. وغاية ما نعرفهُ عن اسرتهِ انها كانت مُثريةً وغدة العيش وان لم تكن من الاسر العريقة في الشرف. وكان ابوهُ قائدًا في الجيش الروماني يُدعى سيكُندوس وهو اسمٌ روماني. وكذلك اسم خالتهِ كان لاتينيًّا. امَّا والدتهُ فكانت تُدعى باسم يوناني أنثوسا (١. فترى من هذه الاعلامات انهُ لا يمكننا ان نقطع في اصل القديس يوحنا فم الذهب فننسبهُ الى عنصر آرامي او يوناني. وممَّا لا نرتاب فيهِ انَّ اسرتهُ اتخذت تمدُّن اليونان وعاداتهم الجارية في ذلك العهد في حواضر الشام ومدنها الكبرى فصارت شبه اليونانية (hellénisée) كالمستعربين بين العرب وكالمتفرنجين في ايامنا

امَّا لغة القديس الذي نحن بصددهِ فلا نتردد في القول انها كانت اليونانية وانَّ فم الذهب كان يجهل السريانية. هذا ما يُستنتج من درس اعمال القديس. لكننا نورد هنا شاهدين صريحين كنَّا اثبتناهما سابقًا في المشرق (٣: ٢٦٩) فزعم البعض اننا اخترعناهما او زوَّرناهما. فالعود اليهما احمد

والشاهد الاول ورد في سير القديس عن الشهداء حيث يذكر فم الذهب انَّ كثيرين ممن استشهدوا دُفنوا خارجًا من انطاكية في ربوضها ثمَّ يردف كلامهُ قائلا: « لا تكترثوا ايها الحضور لرطانة هؤلاء الشهداء ولغتهم الاعجمية (βάρβαρον φωνήν) . . فهل من احد يعبأ باختلاف اللغات لمَّا يجمعنا ايمان واحد ». فمن هذا النصّ الصريح نستنتج (اولًا) ان لغة القديس يوحنا فم الذهب كانت اليونانية لانهُ يدعو لغة هؤلاء الشهداء لغةً اعجميَّة ورطانة بربريَّة. (ثانيًا) انَّ لغة القرويين المجاورين لانطاكية ليست

(Bickell) وفستل (Nestle) وغيرهم دوَّنا اسماءهم في مقالتنا المنشورة بالفرنسيَّة عن الاخ (فرا) غريغون ولبنان في القرن الخامس عشر (ص٣٥). وزد على الذين ذكرنا هناك رينان في كتاب تاريخ اللغات الساميـة (١: ٢٧٧) وماس لاتري (Mas-Latrie) في تاريخ قبرس (١: ١٠٤) وانخيس سميث في الابحاث البيزنطية الجزء السادس ومجلَّة المشرق المسيحي (سنة ١٨٩٨ ص ٢٧٨ وسنة ١٨٩٩ ص ٢٥٠ و ٢٦٠ وسنة ١٩٠١ ص ٢٤١) والمجلَّة الاسيويَّة (١٨٩٨ الجزء الاول ٢٤١ و ٢٦٧) وغيرهم الخ

١) فان اضفنا الى هذه الاسماء اسم يوحنَّا المبراني لا نجد الَّا اسمًا واحدًا يونانيًّا في عائلة فم الذهب. — وجاء في النشرة المنوَّنة (Bullet. de Corresp. hellénique) في تاريخ سنة ١٩٠٠ (ص ٣٨٩) ان يونانيَّة اهل انطاكية لم تكن فصيحة وكانت مشحونة بالفاظ لاتينية دخيلة

اليونانية (١ . وهذه اللغة الاعجمية كان يتكلّم بها لا الشعب فقط بل جمهور الكهنة والرهبان والاساقفة لانّ اكثر هؤلاء الشهداء كانوا من جملتهم

ولنا في تاريخ تاودوريطوس اسقف قورش ما يؤيد نتيجتنا هذه الثانية ويبيّن صريحاً انّ النساك المجاورين المتعبدين لله قريباً من انطاكية كانوا يجهلون اليونانيّة

اخبر تاودوريطوس عن الناسك الشهير مكدونيوس معاصر القديس يوحنا فم الذهب انهُ (٢ كان يسكن في بئر فلقّبهُ الاهلون لذلك باسم Guba اي جبّ (٣ . فلما خبر قداسته الى فلابيانوس اسقف انطاكية فاستدعاهُ الى المدينة وأحضرهُ الرُتبَ المقدّسة . وفي اثناء الذبيحة استقدم السابح القديس ووضع عليهِ اليد فجعلهُ كاهناً دون علمهِ . فلمّا خرج الشعب من الكنيسة وشعر الراهب بما جرى لهُ من امر تكهنهِ لانهُ لم يكن يفهم اليونانية ومعاني ليتورجيّتها اخذ منهُ الغيظ مأخذهُ ورفع عصاهُ يتهدّد من يريد ان يصدّهُ عن الرجوع الى مسكنهِ اذ كان يتخيّل ان الكهنوت يُفقدهُ نعمة الزهد والتنسّك (٤ ويوجبهُ بخدمة النفوس كرعاة الكنيسة . وفي هذا الحادث شاهدٌ جلي على انّ الناسك المذكور والشعب الذي أُقيم لرعايتهِ لم يفهموا اللغة اليونانية

وفي ترجمة مكدونيوس هذا دليل آخر على انهُ هو والجباء الذين كانوا في المناسك المجاورة لانطاكية كانوا يجهلون اليونانيّة . وذلك انّ تاودوسيوس الملك كان بانهُ

---

١) قرأنا في كراسة حديثة لحضرة الاب الفاضل قسطنطين باشا ان في ظهراني انطاكية كان الناس يتكلّمون يونانية ركيكة عامّيّة . الّا ان قول يوحنا فم الذهب يبطل هذا الزعم مطلقاً . فانهُ بوصفهِ هذه اللغة بانها « بربريّة » يعني اليونانية — ولو كانت حضرتهُ يجهل انّ لغة اهل انطاكية نفسها لم تكن فصيحة كما شهد بذلك فيلوستراتس في ترجمة ابولونيوس (راجع Bulletin de Corresp. hellén. 1900 p. 289) . ومن الامور الغريبة انّ العلماء لم يكتشفوا في انطاكية من الكتابات اليونانيّة القديمة الّا النزر القليل . حتّى انّا لو جُمعت لما تجاوزت ستة اسطر . راجع المؤرخ مسن (Mommsen) في تاريخهِ الروماني ج ٥ ص ٢٦٠ ووادنتون (كتابات سورية ص ٤٣٦) وفورستر (Jahrbuch 1897) وغيرهم كثيرين — هذا وننتهز هنا الفرصة لنشكر لحضرة الاب قسطنطين لطفهُ في مبادلتهِ . فيا ليت غيرهُ احتذى في ذلك حذوهُ

٢) راجع أعمال الاباء اليونان لمين (ج ٨٢ ص ١٣٠٦)

٣) من السريانية كُبّه حُفرة وفي هذه التسمية دليل على انّ الشعب كان يتكلّم بالسريانية

٤) راجع تفاصيل هذه الحكاية البهجة في تاريخ تاودوريطوس (ص ١٣٠٨)

انَّ شغباً حدث في انطاكية وثار اهلها وشوَّهوا صوره فارسل عاملين من عمَّاله ليعاقبا بالموت كل من دخل في هذه الفتنة. فبلغ هذا الخبر مسامع السيَّاح الذين كانوا بجوار المدينة فاسرعوا لينقذوا اخوتهم المسيحيين من هذه المحنة العظيمة ودخلوا على عاملي الملك واخذوا يتهرونهما ويزجرونهما ليعدلا عن قصدهما (١. هذا ما اخبر به القديس يوحنَّا فم الذهب لكنَّهُ لم يُفدنا عن اللغة التي تكلَّم بها هؤلاء. وانما ذكر عنهم « انهم قومٌ لا يلبسون سوى رداء خشن ويعيشون في الجبال والغابات ». وقد تلافى تاودوريطوس سكوت فم الذهب عن لغة الجبلاء المذكورين فقال عن مكدونيوس مقدَّمهم انهُ انتهر عمَّال الملك « بالسريانية وكان الترجمان ينقل كلامهُ اليهم باليونانية (٢ ». فليس من دليل اوضح من هذا لتأييد قولنا عن شيوع السريانيَّة في جوار انطاكية بل في انطاكية نفسها كما يدلُّ على ذلك وجود تراجمة بين اهلها ما لم يقل القائل انَّ عمَّال الملك كان يصحبهم ترجمان وسعي حيثما ساروا وهذا يزيد قولنا حجَّةً

فلنأتينَّ الآن الى الشاهد الآخر الذي زعم ايضاً البعض اننا مرَّرناهُ وبدلنا معناه وهذا الشاهد ورد في الميمر التاسع عشر لاهل انطاكية فاه به ذهبي الفم في حفلةٍ تقاطر اليها اهل القرى المجاورة لانطاكية. فممَّا قال الخطيب المصقع ما تعريبهُ الحرفيّ: « اني أعدُّ هذه الحفلة كاعظم الاعياد رابهجها لحضور اخوتنا الذين شرَّفوا مدينتنا بقدومهم وزانوا هذه الكنيسة. نعم انَّ هؤلاء القوم يختلفون عنَّا باللسان (Λαὸς κατὰ τὴν γλῶτταν ἐνηλλαγμένος) لكنَّ ايمانهُ يوافق ايماننا ». فهذا دليل آخر لا يُنقض على الفرق الكائن بين لغة الخطيب وسامعيه ولغة قرى انطاكية. ولا شكَّ انَّ اللغة المشار اليها كانت السريانية كما سبق ونصَّ عليه في حاشية الكتاب صاحبا (٣ الترجمتين اللاتينية والفرنسيَّة بقولهما: « ان اهل قرى انطاكية كانوا يتكلَّمون بالسريانيَّة »

هذا لعمري امرٌ غريب انَّ الشعب والاكليروس في جوار عاصمة كبرى

---

١) راجع الميمر ١٢ من ميامر القديس يوحنَّا فم الذهب لاهل انطاكية

٢) راجع تاريخهُ الرهباني في أعمال الاباء اليونان ج ٨٢ ص ١٦٠٩ و ١٦١٠

٣) وهما البندكتي الشهير مُنتفوكون (Montfaucon) وبارايل (Bareille)

كانطاكية يبلغ عدد سكانها نيفًا ونصف مليون من النفوس داوموا على التكلم بالسريانية رغمًا عن تمدُّن هذه المدينة وسيطرتها مدَّة سبعة اجيال متوالية. فكيف لم تنتشر اللغة اليونانية بينهم مع انَّ الايمان المسيحي كان واحدًا كما شهد القديس يوحنا ذم الذهب ولم تنفصل القلوب في ذاك الوقت الانشقاقات الدينية كالنسطوريَّة واليعقوبية اذ لم تظهر هذه البدع الَّا بعد ذلك بنحو خمسين سنة

فهذا مشكلٌ حاولنا حلهُ في مقالة سابقة بيَّنَّا فيها انَّ اللغة السريانية كانت اكثر انتشارًا من اليونانيَّة غير انَّ ادلَّتنا لم ترض بعض المتقدمين فنسبونا الى التزوير. والحق يقال اننا لم نُوضح الامر كما اوضحهُ قبلنا احد آباء الكنيسة اليونانية الممتازين وهو تاودوريطوس فانهُ ليس فقط يشهد بالاجمال على تكلُّم اهل بلاد الشام بالسريانيَّة لكنَّهُ قد عدَّد اكبر اقطار سوريَّة مفصلًا اسماء المتكلمين بها فقال (١ : « ان لغة السوريين والامم المجاورة للفرات والفلسطينيين والفينيقيين هي السريانية (٢».

ولعلَّ بعضًا من قرائنا بعد ما اتينا به من الشواهد المقتطفة من اعمال القديس يوحنا ذم الذهب وتاودوريطوس يغضون قول القديسة سيلفيا(٣ فينسبون الى انطاكية ما روتهُ عن اورشليم حيث قالت « ان فئة من اهل القدس يعرفون اليونانية والسريانية وفئة اخرى لا يفهمون سوى اليونانية وفئة ثالثة يتكلَّمون فقط بالسريانية » (٤ فينتج من هذا ان ثُلثي المدينة كانوا يعرفون اللغة السريانية وهذا لعمر الحق قسم صالح

اما نحن فنرضى لاثبات مدَّعانا باقل من ذلك. قال العلامة روبنس دوڤال من اكبر معلمي اللغة السريانية في كتابهِ عن الآداب السريانية (ص٤—٥) انَّ اهل سوريَّة بعد

---

١) راجع اعمال الاباء اليونان لمين ج ٨٠ ص ٢٢٧

٢) وقال ذم الذهب : « ان السوريين مع كونهم من الاعجميين قد نقلوا الاسفار الالهيَّة الى لغتهم » اعمال الاباء اليونان ج ٥٩ ص ٣٢

٣) لا « القديس سلفيا » كما جاء في كرَّاسة حضرة الاب قسطنطين باشا (ص ٥٢)

٤) اما حضرة الاب قسطنطين باشا فقد عرَّب هذا النصّ وزاد عليهِ الغاظًا غيَّرت معناها وها نحن نذكر ترجمتهُ ونضع بين معكَّفين ما زادهُ الناقل ليرى القراء ان كنَّا نحن من المحرفين قال (ص٥٢) : « في هذه البلاد فئة من السكان يعرفون اليونانية والسريانية. وفئة أخرى [يونان الاصل] ولا يعرفون الَّا اليونانية والباقي [وهم القليل] لا يعرفون الَّا السريانية » فليحكم الحكم عن ضبط هذه الترجمة

فتح الساوقيين اتخذوا التمدُّن اليوناني اما اللغة العامية فبقيت السريانية ». وزد على ذلك ما رواهُ الاب رتڤال في مقالتهِ عن تدمر وزينب انهُ لم يوجد في هذه المدينة ناسخ يوناني في أيام عزّها

فلنَعُد الان الى القديس يوحنا فم الذهب قائلين انهُ ثبت مما تقدم ان لغة هذا الرجل العظيم كانت اليونانية. ولكن هل كان يعرف السريانية ايضاً فالامر ممكن لا يسعنا تأكيدهُ. ومن المقرَّر انَّ اساقفة كثيرين من سورية كانوا يعرفون السريانية كاسقف اورشليم الذي صادفتهُ القديسة سيلفيا فقالت عنهُ انهُ كان يتكلَّم باليونانية « مع معرفتهِ بالسريانيَّة » (etsi siriste noverit). وكذلك القديس ايفانيوس كان يُتقن السريانيَّة وهي لغتهُ الاصليَّة ويعرف العبرانية ثم درس اليونانية في الاسكندريَّة فلم يُحكمها. هكذا روى عنهُ فوطيوس (١

اما تاودوريطوس فمعرفتهُ للغة السريانيَّة تلوح مما سبق وتظهر ظهور الشمس في تفاسيرهِ للكتب المقدَّسة فانهُ كثيرًا ما يشير الى النسخة السريانية ويترجم آيات منها ويقابل بينها وبين النسخة السبعينيَّة او العبرانيَّة (٢

ويوسعنا ان نذكر غير هؤلاء من كتبة اليونان ومشاهيرهم مثلاً مترجم اعمال القديس ايرونيموس الى اليونانية (٣

ومهما كان الامر انهُ لا ريب في القول بان اللغة اليونانيَّة هي لغة القديس يوحنا فم الذهب اما معرفتهُ للسريانيَّة فليست بمتوَّرة. فهذا ما يظهر من مطالعة اعمال القديس. ولو اردنا لزدنا على هذه الحجج ما يؤيدها اثباتًا مثال ذلك انَّ فم الذهب عند ذكرهِ السوريين يلقبهم بالاعاجم ويذكر لغتهم كلغة قائمة بذاتها مختلفة عن اليونانية (٤ — ومن

---

١) راجع مجادلتي القديس ايرونيم ضدَّ روفينس. وترجمة القديس ايفانوس في اول اعمالهِ في مجموع الآباء اليونان

٢) راجع في اعمال الآباء اليونان ج ٨٠ : ص ٧٢, ٧٤, ١٠١, ٢٢٧, ٤٨٣, ٨٦٤, ١٠٠٥, ١٤٢٠, ١٤٥٤ الخ — وج ٨١ : ص ٤٠٨, ٤٢٢, ٤٥٥, ٤٧٥, ٤٧٧, ٤٨٤ الخ — وج ٨٢ : ص ٢٨٥, ١٢٠٦, ١٢١٠ الخ ونرجح ان تاودوريطوس كان يعرف اللغة العربية هو والقديس سمعان العمودي ويظهر ذلك من تاريخ سيرة هذا الناسك الشهير

٣) راجع مجلة Muséon, 1901 p. 296

٤) راجع اعمال الاباء اليونان (ج ٥٩ ص ٢٢)

ذلك قولهُ في محل آخر « انَّ الاسفار الالهية لم تكتب في لغتنا لكن في العبرانية (١ » فقولهُ « لغتنا » يدلُّ على انَّ لغتهُ كانت اليونانية — ومنهُ قولهُ في شرح آية من الكتاب الكريم « ويشهد بذلك الذين يعرفون اللغة السريانية (٢ » فمثل هذا لا يقولهُ عادةً رجل عارف بلغة اجنبيَّة

وخلاصة الكلام ان قول حضرة الحوري ميخائيل غبريل انَّ « يوحنا فم الذهب كان من الأمة السريانية » ليس بقول ثبت يحتاج الى ادلَّة لم نجد لها من اثر في التاريخ حتى عهدنا الحاضر والسلام

الكثلكة في القرن التاسع عشر

نظرة الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة لما سبق)

٢ اميركة

لا نشك ان الذين طالعوا مقالتنا السابقة عن نجاح الكثلكة في اوربَّة تألموا لذلك العجب العجاب وشكروا الله على اعلانهِ كعب كنيستهِ بين جميع الدول المتمدنة. على انهُ تعالى عزَّ وجلَّ لم يقصر مفاعيل قدرتهِ على اوربَّة وحدها بل افاضها بكرم على بقيَّة القارات المعمور فان اعتبرنا الدنيا الجديدة وجدنا الكنيسة الكاثوليكيَّة فيها بلغت من العز والتقدم حيث لم تبلغ الآمال. فانَّ اميركة في قسميها الشمالي والجنوبي رأت الكثلكة في مقام رفيع بعد ان كانت متزويةً في بعض بلادها لا تستلفت اليها سوى انظار القليلين

(اميركة الشماليَّة) شعَّت انوار الكثلكة في اميركة الشماليَّة حتى انَّها تبهر اليوم عيون كل الناظرين. فمن ذلك انَّ المرسلين الكاثوليكيين دخلوا منذ عهد قريب في اقصى اميركة الشمالية في جزائر غرونلند وإسلند وبشَّروا باسم المسيح بين قبائل تلك البلاد التي لا يعيش فيها الَّا بعض قبائل الإسكيمو ومن لا رغبة لهُ في الحياة قائم

١) فيلج ٥٣ ص ٤٢ ٢) في المحلّ ذاتهِ

يحرمهم الله ثمرة اتعابهم غير اننا لا نعرف بالتدقيق عدد الكاثوليك في تلك الاصقاع النازحة

اما (اميركة الانكليزية) التي تحتوي بلاد كاندا والارض الجديدة فانَّ الكاثوليك كانوا فيها في بدء القرن التاسع عشر ١٢٠,٠٠٠ فقط تحت ادارة اسقف واحد وهم اليوم في كاندا نصف سكانها فينيفون على الفي الف. وهم لا يزالون في نموٍّ دائم حتى لو بقوا على هـذا المعدَّل لبلغ عددهم في آخر القرن العشرين ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ والاعمال الكاثوليكية في تلك البلاد مزهرة نامية بهمَّـة ١٨ اسقفًا او رئيس اساقفة فلو اردنا تعدادها فقط لما كفانا كتاب واسع وعليه فنكتفي بالاشارة. واذا اضفنـا الى كاثوليك كاندا من سكن منهم الارض الجديدة وبقيَّة الجزائر المجاورة لهـا لكان مجموع الكاثوليك في اميركة الانكليزيَّة سنة ١٩٠٠ ٢,٢٣٠,٠٠٠ نفس اعني انهم اكثر من نصف سكَّانها بنحو اربعين الفًا

ومن اميركة الشمالية (الولايات المتحدة) كان عدد الكاثوليك فيها ٤٠,٠٠٠ بين ٤,٠٠٠,٠٠٠ من السكَّان ليس لهم الَّا اسقف واحد في بلتيمور. وهم اليوم يربون على ١٠,٠٠٠,٠٠٠ بين ٦٥,٠٠٠,٠٠٠ فصاروا بنسبة الواحد الى ستة بعد ان كانوا بنسبة الواحد الى المئة. ولا تزال الكنيسة الكاثوليكية في هذه الولايات في ترقٍّ دائم مكرَّمة متبوعة القول يدير شؤونها كردينال واحد و ٩٢ اسقفًا او رئيس اساقفة و ٩٠٠٠ كاهن وللكاثوليك كليَّات عامرة ومدارس لا تُحصى ومشروعات خيريَّة لكلّ طبقات الشعب وللبسوعيين رسالات زاهية بين قبائل المتوحشين من هنود وغيرهم. وقد دخلوا منذ عهد قريب في بلاد ألاسكا. وكذا بقية الرهبانيَّات تفلح كرم الرب بنشاط عجيب. اما تفاصيل اعمال الكاثوليك في الولايات المتحدة فتستغرق مجلدات ضخمة لا يسعنا الإلمام بهـا. وحسبنا القول انَّ كثيرين من مشاهير البروتستانت قـد شهدوا للكثلكة ومساعيها المبرورة وقوَّتها الالهيَّة. وقد ذكر البشير مرارًا اقوالهم فلا حاجة الى تكرارها

ومن اميركة الشماليَّة ايضًا بلاد (المكسيك) واهلها كلهم كاثوليك الَّا نفرًا قليلًا لا يتبعون معتقدهم. وعددهم ١٢,٦٠٠,٠٠٠ فبلغت زيادتهم في مئة سنة نحو الضعف

ومن اميركة الشماليَّة اخيرًا (اميركة الوسطى) الواقعة بين الاوقيانوس الكبير وبحر الانتيـل. وهي تشمل خمس جمهوريَّات: غواتمالا وهندوراس وسلفادور ونيكاراغوا

وكستاريكا واهل هـذه الجمهوريّات اسبانيُو الاصل عددهم ٣,٠٠٠,٠٠٠ وكلهم كاثوليك الّا قسمًا صغيرًا فتكون الزيادة منذ مئة سنة مليونًا

(اميركة الجنوبيّة) تضيق صفحات هذه المجلة عن ذكر ما للكثلكة في اميركة الجنوبية من الآثار الجليلة فانها الدين الغالب على اهل تلك الامصار الواسعة حتى انّ عدد المؤمنين فيها يتجاوز الاربعين مليونًا. وكانت تلك البلاد قد اصابتها ضربة لازبة لمّا أُلغيت الرهبانية اليسوعيّة في أواخر القرن الثامن عشر واستولى على اسبانيـة روح الكفر والفساد الّا انّ الوبَ مسَّ تابوت الميت كما فعـل مع ابن ارملة نائين فاقامهُ وهكذا قد اعاد اليوم لاميركة الجنوبية حياة جديدة ورونقها السابق من حيث الدين. والكاثوليك فيها الان نيف واربعون مليونًا منتشرين في ولاياتها الاثنتي عشرة المستقلة وخصوصًا في البرازيل حيث يبلغ عددهم ١٤,٥٠٠,٠٠٠. وقد ظهر مجد الكثلكة في تلك البلاد مؤخرًا لمّا اجتمع منذ ثلاث سنوات كل اساقفة اميركة الجنوبية في رومة وعقدوا مجمعًا كبيرًا بحثوا فيهِ عن كل شؤون بلادهم الروحيّة وقد صادق الحبر الاعظم على مقاصدهم الحسنة وشدَّد عزائمهم وبعثهم على كل عمل مبرور يؤول الى مجدهِ تعالى وخلاص النفوس

فمن هذه اللائحـة الموجزة ترى ان اكثر من نصف سكّان قارة اميركة يتبعون الكنيسة البطرسية. والامل وطيد انّ عدد الضالين في آخر القرن العشرين ينحصر في بضعة ملايين

٣ اوقيانية

تُلحق اوقيانية باميركة لوقوع اكثر جزائرها في جوارها في وسط البحر الباسيفيكي. واوقيانية يقسمها الجغرافيون الى عدَّة اقسام نجري عليها نحن ايضًا لبيـان ترقي الدين الكاثوليكي في كل صقع منها

١ (مالاسيا) هي كناية عن عدَّة جزائر وارخبيلات مختلفة في الكبر تملكها اربع دول: (الاولى) هولندة وفي ملكها جزائر سومترة وجاوة والصُّند وسيليبس وجزائر الملوك وفلورس وقسم من غينية الجديدة وتيمور وبورنيو. وكل هذه الجزائر فيها اليوم مرسلون كاثوليكيون اكثرهم اليسوعيون بلّغوا بهمتهم عدد المتنصرين الى نيفًا و ٦٠,٠٠٠ ولم يكن في بدء العصر المتصرم فيهـا كاثوليكيّ واحد. (الثانية) انكلترّة تملك في

اوقيانية جزيرة لابوان وقسماً من جزائر بورنيو . يبشّر تلك البلاد بالايمان الكاثوليكي مرسلون انكليزيون من جمعيّة ميل هيل التي سبق ذكرها وهم اليوم يرشدون في سبل الخلاص ١٠,٠٠٠ رجل انتشلوهم من ضلال الشرك في مدّة خمسين سنة . (الثالثة) البورتغال ولهم قسم من جزيرة تيمور من ارخبيل الصند فيها ٢٢٠٠ كاثوليكي . (الرابعة) الولايات المتحدة التي خلفت اسبانيا في ملك الفيليبين وفي تلك الجزائر ٥,٥٥٠,٠٠٠ من الكاثوليك اما الباقون فهم وثنيون وعددهم لا يتجاوز ٣٠٠,٠٠٠ ومسلمون نحو ٤٠٠,٠٠٠ وللمرسلين الكاثوليكيين في تلك الاصقاع اعمال خطيرة لا يمحوها الدهر فانهم بعرق جبينهم بل بدمهم غيّروا الفيليبين وزرعوا فيها الايمان وعلّموا اهلها كل الفضائل المدنيّة والدينيّة حتى صاروا مثالاً للتقى وخوف الله

٢ (اوستراليا) اوستراليا تمجد الكنيسة الاثيل وواسطة القلادة التي تزين جيدها في القرن التاسع عشر . فانها في مفتتح ذلك القرن لم يُعرف فيها اسم الكاثوليك وعددهم اليوم مليون من النفوس (اي اكثر من ثلث سكّانها) يرأسهم ستة مطارنة و ٢١ اسقفاً و ٨٠٠ كاهن مع رهبان من كل الجمعيّات الرهبانية وقد بلغ عدد الكنائس المشيّدة في هذه المدّة ١٧٣٠ كنيسة او معبداً

٣ (بقيّة جزائر اوقيانية) هذه الجزائر على ثلاثة اقسام منها ما يتبع اوستراليا ويسمّى معها باسم ميلانيسيا اي جزائر السودان . ومنها الجزائر الصغرى او ميكرونيسيا . ومنها بولينيسيا اي الجزائر المتعدّدة . ونحن نذكرها جميعاً في هذا الباب فنقول انّ نعمة الرب قد فاضت على هذه الجزائر في عصرنا فصدعت في قلوب سكّانها المتوحّشين عجائب وقد تمّ بينهم فعلاً قول الانبياء الذين سبقوا وبشروا بخلاص الجزائر الواقعة في اقاصي المسكونة . وقد كان دخول المرسلين الاوّلين من الكاثوليك في اوقيانية سنة ١٨٢٦ فلم يزالوا منذ ذاك العهد يكدّون ويجهدون حتى زكا الزرع واتى بغلّات وافرة . واليوم يبشّر تلك الجزائر اربع جماعات رهبانيّة (الاولى) جماعة آباء قلبي يسوع ومريم يبشّرون جزائر سندويش المعروفة ايضاً بهاواي وقد صبغوا بمياه المعمودية الوفاً من اهل تلك البلاد . وعدد الكاثوليك اليوم يناهز ٤٠,٠٠٠ وفي احدى تلك الجزائر توفي ذلك الشهم البطل الاب داميان بعد ان خدم ١٢ سنة البرص فاعداهُ مرضهم ومات فرحاً شهيد محبّته فاطنبت على همته كل الجرائد على اختلاف صبغاتها . واقيم له تمثال في وطنه

وهؤلاء الرهبان نفسهم دخلوا سنة ١٨٣٣ في جزائر اوقيانية الشرقية فامتدوا فيها شيئاً فشيئاً حتى انهم شيَّدوا فيها ٤٥ كنيسة وفتحوا ٣٠ كنيسة في جزائر مختلفة في ارخبيل تاهيتي وارخبيل غامبيار وارخبيل پومرتو وجزيرة الفصح. وكلُّ اهل تلك الجزائر من السودان المتوحشين وبعضهم يقتات بلحوم البشر فتمكَّن المرسلون من تلطيف طباعهم وتغيير قلوبهم بعد اتعاب لا توصف. وعدد الكاثوليك في هذه الجزائر نحو ١٠,٠٠٠ ولآباء قلبي يسوع وسر يم رسالة ثالثة في اوقيانيسة في جزائر مركيز يبشِّر بهـا ١٥ مرسلاً والكاثوليك فيها ٤٠٠٠

الرهبانية (الثانية) التي تبشِّر جزائر اوقيانية هي جمعيَّة الآباء المريميين حضَّتهم في التبشير اوقيانية الوسطى وارخبيل المُجرين وكليدونية الجديدة وارخبيـل فيجي وهم قد كحلوا في مدة خمسين سنة ربع قبائل تلك البلاد الشاسعة بانوار الانجيل لا يتمالك كلُّ من يشاهد اعمال هؤلاء المرسلين عن الثنـاء على همتهم القعساء. فانهم اتوا بقوَّة الله ما لم يأتِ به اعظم الملوك بجيوشهِ الجرارة ومدنوا أمماً شاع ذكر همجيَّتهم وتوحشهم

الرهبانيَّة (الثالثة) هي جماعة آباء قلب يسوع من ايسودون ارسلوا من عهد قريب الى جزائر ميلانيسيا وغينية الجديدة وپوميرانيا الجديدة. وقد تمكَّنوا منذ نحو عشرين سنة رغماً عن كل ما اعترضتهم من المشاكل في انشاء رسالات اخذت تُزهر ببركة امام الاحبار الذي لم يشأ ان تبقى تلك الاقطار محرومةً من نعمة الخلاص. وعدد الكاثوليك فيها اليوم خمسة آلاف

وآخر رهبانية تحرث كرم الرب في اوقيانية هي رهبانيَّة الكبوشيين لهم رسالة حديثة العهد كان ابتداؤها سنة ١٨٨٦ اخذت تأتي باثمارها

هذا مجمل اعمال المرسلين في اوقيانية ولا نشكّ في انَّهم يردُّون الى الايمان معظم قبائل تلك البلاد قبل خمسين سنة اللهمَّ اذا ما ثبتوا على العمـل ولم يعترض لهم عارض في سبيل مشروعاتهم الخطيرة

٤ افريقية

تشبه قارة افريقية جزائر اوقيانية بنموّ عدد المؤمنين فيها في بهرة القرن التاسع عشر وها نحن نستقري اقسامها اجمالاً

١ (افريقية الشماليَّة) كان عدد الكاثوليك فيها في غرَّة القرن السابق ١٥,٠٠٠

يقوم بامورهم الروحيَّة نحو ٥٠ كاهناً واليوم قد بلغ عددهم نحو ٦٠٠,٠٠٠ تحت رئاسة رئيسَي اساقفة واربعة اساقفة وخمسة نوَّاب و ٨٢٠ كاهناً لهم ٤٢٠ كنيسة و ٥٥٠ مدرسة. ويبشر في تلك البلاد رهبان عديدون في مقدَّمتهم الاباء البيض الذين انشأهم ذلك المغوار المستحقّ ان يُدعى رسول افريقية السيد لافيجري يبشرون الجزائر وتونس ومنهم اليسوعيون في الجزائر وجبال القبائل ومصر ومنهم الفرنسيسكان والكبوشيون في مصر ومراكش وطرابلس الغرب. وقد أُنشئت رسالة حديثة لتبشير قبائل الصحراء في تجاهل افريقية يتولى تدبيرها الاباء البيض

٢ (افريقية الغربيَّة) تشمل افريقية الغربيَّة خمس رسالات كبرى أُنشئت كلها في أواسط القرن التاسع عشر الَّا رسالة واحدة في انغولا كانت في حالة حرجة. وهذه الرسالات الخمس تتفرَّع الى عدَّة رسالات أُخر نذكر هنا اهمها: منها رسالة سينيغال وسينيغمبيا يتولى شؤونها آباء الروح القدس بغيرة عظيمة. وقد ادخلوا في حظيرة الكنيسة ٢٠,٠٠٠ من اهل الشرك — ومنها رسالة سيَّارا ليوفي أُنشئت سنة ١٨٥٨ وفُوِّض امر تبشيرها للمرسلين الافريقيين من ليون وقد اصابهم في انشائها عوائق جمة خصوصاً من جهة البروتستانت. والكاثوليك في تلك الرسالة ٢٥٠٠ — ومنها رسالة ساحل الذهب أُنشئت حديثاً يدبرها الآباء الافريقيون منذ ٢٠ سنة والكاثوليك فيها ٣٠٠٠ — ومنها رسالة داهوماي ابتدأت سنة ١٨٧٠ عدد الكاثوليك فيها ٤٠٠٠ والامل وطيد اليوم بان سيرجع اكثر اهلها الى الايمان بعد دخول البلد تحت حكم فرنسة — ومنها رسالة بنين للاباء الافريقيين ايضاً أُنشئت سنة ١٨٨٠ فبلغ مذ ذاك عدد الكاثوليك ٢٠,٠٠٠ — ومنها رسالة جون غينية تضمّ البلاد المجاورة لنهر النيجر وبلاد الكامرون والغابون كان إنشاء الرسالتين الاوليين سنة ١٨٨٩ اما رسالة الغابون فابتدأت سنة ١٨٤٤. والكاثوليك في هذه الاماكن ٦٠٠٠ يُعنى بتدبيرهم آباء جمعيَّة الروح القدس وقد ادَّوا للتمدُّن خدماً جليلة عرفتها لهم فرنسة — ومنها اخيراً الكنغو يبشِّر اقسامهُ المتعدِّدة مرسلون من جمعيَّات رهبانيَّة شتى كالاباء البيض وآباء الروح القدس واليسوعيين وغيرهم وعدد الكاثوليك قد بلغ اليوم بعد تبشير سنين قليلة ٥٠,٠٠٠ نفس

(افريقية الشرقيَّة) تحتوي (اولًا) على بلاد موزنبيك وزمبيزيا وهي بلاد واسعة يملك على قسم منها البورتغاليُّون وعلى القسم الآخر الانكليز يبشِّر تلك البلاد الآباء

اليسوعيُّون منذ عشرين سنة وقد ذهب منهم نحو ٣٠ مرسلًا ضحايا حبّهم لخلاص النفوس في انحاء موبوءة لا يحلُّها الاجنبيّ الّا باع حياتهُ رخيصةً. امّا عدد الكاثوليك فنحو ١٠,٠٠٠ — (ثانيًا) زنجبار يبذر فيها بذر الايمان آباء الروح القدس منذ سنة ١٨٦٢ والرهبان البندكتيُّون الالمانيُّون منذ ١٨٨٧ والمؤمنون اليوم بلغوا بهمتهم نحو ٤٠٠٠ — (ثالثًا) رسالتا الحبش وقبائل الغالاس سعى منذ سنة ١٨٣٩ بهما الآباء اللازاريُّون والكبوشيُّون فنالتهم فيها محن عديدة يطول شرحها لكنّ اتعابهم لم تذهب سدًى والملك الحالي منليك يعرف فضل المرسلين وتراهتهم وكثيرًا ما تخفّى بهم واكرمهم لاسيّما بعد ان اوصاهُ بهم قداسة الحبر الاعظم. وعدد الكاثوليك اليوم في الحبش نحو ٢٠٠٠٠ وفي بلاد الغالاس ٦٥٠٠

(افريقية الوسطى) تشمل (اوّلًا) رسالة السودان لجماعة رهبان ثيرونا الذين عادوا الى مراكزهم بعد كسرة المهدي واشياعه. (ثانيًا) رسالة فيكتوريا نيانزا للآباء البيض دخلوها سنة ١٨٧٩ فردُّوا الى الايمان قسمًا صالحًا من اهلها الذين آثروا الموت على جحود دينهم بعد ما ثارت عليهم ثوائر الاضطهادات. وكان من جملة من استشهد عدّة غلمان كانوا في خدمة الملك احرقهم الجلّادون فلم ينبسوا بكلمة. وكان موتهم داعيًا لكثيرين للتنصُّر. وهذه الرسالة اليوم تحتوي ٥٠٠٠ مؤمن من جملتهم الملك — (ثالثًا) رسالة تنغنيكا الشرقيّة والغربيّة يتولّى الاشارة فيها الآباء البيض منذ نحو عشرين سنة والكاثوليك من الزنج ٦٠٠٠ يضاف اليهم ٥٠٠ من المتنصّرين في رسالة اونيانيمبة بين فيكتوريا نيانزا وتنغنيكا — (الرابعة) رسالة نياسا المختصّة بالقبائل المجاورة لهذه البحيرة وهي ايضًا من رسالات الآباء البيض باشروا بها منذ ١٢ سنة والى الآن لا نعرف ما اصابوا هناك من النجاح

(افريقية الجنوبية) كانت الشيعة الكلوينيّة في بدء القرن التاسع عشر ساندة في جنوبي افريقية لا تمكّن احدًا من المرسلين الكاثوليكيين الدخول في حوزتها وقد بطلت هذه السنن منذ نصف قرن فأُنشئت عدّة رسالات في مستعمرة الكاب وناتال واورنج ورأس الرجاء الصالح والترنسفال وباسوتولند فلا تكاد تجد مدينة ذات شأن الّا وللكاثوليك فيها اعمال جليلة. واكثر المرسلين عددًا في تلك الانحاء الرهبان المعروفون بتطوعي مريم (Oblats de Marie) ثم اليسوعيون وغيرهم. ومجمل عدد الكاثوليك

في افريقية الجنوبيَّة ٤٠,٠٠٠ لهم نحو مئة كنيسة ويسوسهم اربعة نوَّاب رسوليُّون و ١٢٠ مرسلًا

(جزائر افريقية) بعضها في بحر الهند وبعضها في البحر الاتلنتيكي فالاولى تحتوي ٦٠٠,٠٠٠ كاثوليكي منهم ٣٠٠,٠٠٠ في جزيرتَي موريس والريونيون و ٢٠,٠٠٠ في جزائر سيشيل والباقون في مدغسكار. ومدغسكار هذه منذ أُطلقت فيها الحريَّة للاديان تضاعف عدد كاثوليكها وتراهم كل يوم يتقاطرون الى حجر الكنيسة برغبة عجيبة حتى انَّ مرسليها اليسوعيين الذين زرعوا بين الاضطهادات مدَّة اربعين عاماً يحصدون اليوم بالفرح وقد ضاق ذرعهم عن القيام بتعليم اهل مدغسكار لكثرة المهتدين فطلبوا الى مجمع انتشار الايمان ان يرسل فعلةً من رهبانيات اخرى ليجمعوا الحصاد في اهراء رب البيت. فقسم المجمع هذه الرسالة الى ثلاثة اقسام وكل بقسمين منها الى الاباء اللازريين وآباء الروح القدس وبقي القسم الثالث تحت ادارة اليسوعيين. ولهذه الجزائر تاريخ واسع يُخبر بكل احوالها وترقي الكثلكة فيها منذ مئة سنة فصار عددهم نحو عشرة اضعاف ما كان

اما جزائر افريقية الواقعة في البحر الاتلنتيكي المعروف عند العرب ببحر الظلمات فهي للبورتغاليين او للاسبانيين وكان الدين الكاثوليكيّ فيها منتشراً قبل القرن التاسع عشر. اما اقتنتها اليوم ستَّة يرعون بغيرة مرؤوسيهم الذين يبلغون ثلاثة ارباع سكَّان تلك الجزائر. وعددهم ٨٤٠,٠٠٠

فترى من هذه اللائحة ما فازت به الكثلكة من النجاح في افريقية في مدة هذا القرن الاخير مع انَّ اغلب الرسالات التي ذكرناها لم تبتدئ الَّا من عهد قريب. تبارك الله في اعمال رسله واوليائه

٥ آسية

بقي علينا ان نبيّن للقراء ما نالتهُ بلاد آسيَّة من النصيب الوفي والتقدم الباهر بالدين الكاثوليكي في القرن التاسع عشر. غير انَّ تتبُّع آثار الكثلكة في كل بلد من هذه القارة الواسعة يؤدي بنا الى الاطالة المملة فنذكر اجمالًا ترقي الكنيسة في الشرق الاقصى وآسية الوسطى لنفصل الكلام عن نجاحها في المملكة العليَّة

(الصين) قد ذكرنا في مقالتنا عن الصين والمسالة الصينية (المشرق ٣: ٨١٨—

٨٥٢) لمة من اخبار الدين الكاثوليكي في تلك البلاد فلا حاجة الى التكرار . وكفانا هنا القول انَّ عدد الكاثوليك في دولة ابن السماء مع ما تاحق بها من منغوليا ومنشوريا والتِّبت يناهز مليونًا . والمبشرون بالخلاص في تلك المملكة الواسعة ٧٠٠ مرسل من جميع الرهبانيَّات نخصُّ منها بالذكر جماعة الرسالات الاجنبيَّة واللازريين واليسوعيين والفرنسيسيين تحت حكم اربعين اسقفًا

(اليابان وكوريا) هاتان الرسالتان أحدثتا في أواسط القرن السابق واليوم فيهما من ابناء النور ١٠٠.٠٠٠ نفس يرشدهم آباء الرسالات الاجنبيَّة ولليابان رئيس اساقفة وثلاثة اساقفة ولكوريا اسقفٌ واحد . وقد اصاب المسيحيين في كوريا اضطهادات عديدة في سبيل ايمانهم وقُتل منهم ربوات فصارت دماؤهم زرعًا جديدًا للمؤمنين في عهدنا

(الصين الهنديَّة) فيها للكاثوليك ثلاث رسالات كبرى في برمانية وسيَّام وانَّام وقد اضحى عددهم قريبًا من ثلاثة اضعاف ما كان منذ مئة سنة فهم اليوم ٧٥٠,٠٠٠ يرعاهم عشرة من النواب الرسوليين و ٨٣٠ كاهنًا وعدد الكنائس المشيَّدة هناك يُربي على المئتين

(الهند) انَّ عجائب الله ظهرت في تلك البلاد مدَّة القرن التاسع عشر ظهورًا شائقًا لم ترَ العين مثلهُ منذ أيام القديس فرنسيس كسفاريوس الملقَّب برسول الهند . فانَّ الرسالات الكاثوليكيَّة نمت فيها اي نموّ حتى صار مجموع عدد المؤمنين مليونَين وما كانوا في أواخر القرن الثامن عشر الَّا ٤٧٥,٠٠٠ . امَّا رؤساء الاساقفة والاساقفة فهم اليوم ٣٠ مع ٧٢٠ كاهنًا من كل الرهبانيَّات . ولليسوعيين وحدهم خمس رسالات كبرى متفرِّقة بخمسة اقاليم مختلفة وقد اثلج الله صدرنا بمشاهدة شيء من اعمالهم الخطيرة قبل خمس سنوات

(العجم) للاباء اللازريين في العجم رسالة هي اليوم على قدم من النجاح وجلالة شاه العجم كثيرًا ما اظهر رضاهُ السامي من تصرُّف المرسلين وخلوص تعلُّق المسيحيين بالدولة . وللَّازريين اربعة اديرة في اورمية وطهران وخسروفا وتبريز . واكثر الكاثوليك من الطقس الكلداني عددهم نحو عشرة آلاف

(الدولة العليَّة) انَّ الديانة الكاثوليكيَّة قد وجدت في الممالك الشاهانيَّة مدَّة

القرن التاسع عشر تربة جيدة في ظل سلاطينها العظام ولذلك تراها بانت من التقدُّم والنموّ مبلغاً عظيماً. وهذه قائمة الطوائف الكاثوليكيَّة الشرقيَّة في عهدنا مع بيان حالتها سنة ١٨٠٠ وانضمّ اليها الكاثوليك الشرقيين الذين في مصر لتمام الفائدة

	ارمن	روم ملكيون	سريان	قبط	كلدان	موارنة	المجموع
١٨٠٠	٨٠,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٤,٠٠٠	٥٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	= ٣٦٩,٠٠٠
١٩٠٠	١٣٠,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠	٦٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	= ٦٩٠,٠٠٠
الفرق	٥٠,٠٠٠	٩٥,٠٠٠	٥٠,٠٠٠	١٦,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	= ٣٢١,٠٠٠

فترى من هذا الجدول انَّ عدد الكاثوليك الشرقيين قد تضاعف في القرن السابق ثمَّ لا بُدَّ ان يُضاف الى هذا العدد نحو ٥٠,٠٠٠ من اللاتين في فلسطين وقبرس وسوريَّة والاناضول ولم يكن قبلاً يبلغ عشرة آلاف

اما اسباب هذا النموّ العجيب فمنها (اولاً) نموّ الكاثوليك بالتناسل (وثانياً) اهتداء كثيرين الى الحظيرة البطرسيَّة لاسيَّما من اليعاقبة والنساطرة والروم على يد الاساقفة الكاثوليك الشرقيين والمرسلين اللاتينيين. (وثالثاً) اتساع نطاق الاعمال الكاثوليكية من مدارس وتآليف وجرائد ومياتم ومستشفيات ورياضات وارشادات. فانَّ كل ذلك من شأنهِ ان يستلفت انظار الشرقيين المنفصلين ويريهم رأي العيان علوّ مقام الكثلكة وما اودعها الله من القوَّة الالهيَّة

وكفى الكاثوليك الشرقيين فخراً انَّ الحضرة الشاهانيَّة اظهرت رضاها السامي عنهم وعن خاوص تعلقهم بالدولة العليَّة. كما انَّها رعاها الله تلطَّفت مراراً وابدت لامام احبارنا شارات الاجلال والمودَّة وخصوصاً في يوبيلي لاون الثالث عشر فاهدى جلالة السلطان لقداستهِ الهدايا الثمينة منها خاتم بديع فيهِ يتيمةٌ فريدة وكتابة أبرقيوس التي ترتقي الى القرن الثاني للميلاد

اما نحن فنختم هذه المقالة طالبين من الله ان يعزّز شأن كنيستهِ في القرن الجديد كما فعل في القرن السابق وعسى اليوبيل الذي اعلنهُ الاب الاقدس في بدء هذه السنة يكون عربوناً وضميناً عن هذا التقدُّم فلا يرى العالم في آخر القرن العشرين الَّا رعيَّة واحدة وراعياً واحداً وهو السميع المجيب

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

مترجمة بقلم العلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

وكانت هذه الكلمات تتضمن تحت طي التهكُّم رفضًا صريحًا لطاعة اوامر المقدَّم وقد فهم مالك كل ما تعنيه غير انهُ لمَّا تذكر وصية مولاهُ الذي امرهُ ان يعود بجوسلين إمَّاحيًّا واما ميتًا رأى من الواجب ان يستدعي منهُ تكرار التنبيه على صاحب القليعة ولم يكن يجهل ما دون ذلك من الاخطار على حياتهِ ولو فُرض انهُ جهايا لأخطرها على بالهِ وجودهُ في تلك القلعة المنيعة ما بين قوم أشرار اهون ما عندهم سفك الدماء. ولكنهُ كان من الذين لا تهولهم المصاعب فعقد العزم على توفية حق المهمة التي أُرسل فيها ومتابعتها حتى نهايتها ثم خاطب جوسلين بقولهِ:

أهذا آخر جواب من جنابك ؟

— هذا الجواب الاخير بلا مراء فافضل شيء لك والحالة هذه ان تعود من حيث اتيت لاني اشعر بان صبري قد فرغ ولا اعلم اي شيء يردّني عن معاقبة هذه الجسارة البادية من خادم حقير مثلك. فبناء عليهِ يجب ان تحسب نفسك سعيدًا بسكوتي عنك وترخيصي لك بالسفر

غير انَّ مالكًا لم يُرهبهُ هذا الكلام مع ما فيهِ من الوعيد الظاهر بل قال:

اني مكلَّف بان لا اسافر من القليعة الَّا في صحبة جنابك. هكذا امرني بصريح المقال سيدي ومولاي المقدَّم رزق الله. وهو يرجو منك ان لا تحوجهُ الى استعمال وسائط أُخرى عنيفة ولكنك اذا خيَّبت رجاءهُ يضطر الى العمل بما لا تحب. فتبصَّر اذًا ايها السيد جوسلين واختر لنفسك ما يحلو امَّا ان تذهب الى بشراي وتبرّئ نفسك ممَّا يُسند اليك امام الامير رزق الله مقدَّم لبنان وامَّا ان تؤخذ قهرًا وعنوةً من قصرك هذا. وانت ادرى بما للمعصية والثورة من العواقب الوخيمة وكفاك زاجرًا عنهما ما حلَّ بمتقدَّم ايطو فانهُ قد شُنق على اطلال البرج الذي ابتناهُ جزاء جسارتهِ على مخالفة مولاي وتمنُّعهِ عن الذهاب الى بشراي بغية استجوابهِ عن التهم التي نُسبت اليهِ

فلما سمع جوسلين هـذه الكلمات حتى كاد يتمزّق من الغيظ فانقلبت سحنتهُ وجحظت عيناهُ واندعر منهُ اتباعهُ مع انهم كانوا قد اعتادوا مشاهدتهُ في مثل هذه الحال ثم انهُ التفت الى مالك قائلًا:

كيف تجسر على تهديدي في قصري بحضور اعواني وجندي ؟ ألا تدري ايها الشقي انك قد سعيت الى حتفك بظلفك ؟ نعم اني لا اعلم بما يعدهُ لي المستقبل في مطاوي اسراره ولكنهُ اذا كان لا بد ان تنتهي حياتي بالشنق فالواجب ان تعلم انك ستسبقني اليهِ واذا كنت اول من تجرأ على مخاطبتي بمثـل هذه التهديدات فثق بانك ستكون الاخير

وكانت في فناء القصر مشنقة منصوبة على الدوام لان جوسلين لم يبقَ لديه غير وسائل الارهاب للمحافظة على بقيّة الترتيب والنظام ما بين مؤتمنيهِ وشركائهِ في جرائمهِ. ولم يكن يستطيع الاعتماد على فضة اليهودي نثنائيل الذي من حين سفرهِ قطع اخباره بالتمام والكمال. وكان قبل بضعة ايام قد شنق جنديًا متهمًا بكونهِ حاول الفرار وترك جثتهُ معلقةً تذكيرًا لحامية القليعة بان مولاهم لا يتساهل ولا يلين في الامور المتعلقة بخدمتهِ

وبموجب اشارة من جوسلين تقـدّم عدد من الجنود المتسلحين فحاطوا بمالك ووضعوا في عنقهِ حبلًا وباشارة ثانيـة منهُ ايضًا علقوهُ في المشنقة ففاضت روحهُ سريعًا والحق بالجندي السابق ذكرهُ المتهم بالفرار وهكذا اصبح في مشنقة القليعة جثتان. ومع ان جنود جوسلين كانوا قـد تعوّدوا رؤية هذه المشاهد وتربّوا على عدم اعتبار الحياة البشريّة بشيء لم يقووا على عدم التأثر من هـذا الصنيع البربري فاقاموا في اماكنهم مبهوتين كأنهم تسمّروا بها تسميرًا. وبينما هم على هذه الحال سمعوا ضجةً عظيمة لان « الريح » الذي هو حصان مالك كان قد توصّل الى قطع القيود التي ربط بها في حلقة من الحديد مغروسة في السور فسار بسرعة عظيمة الى الباب الذي كان قد أُبقي مفتوحًا وغاب عن الابصار في الطريق المؤدية الى جهة حصن سليمان

غير انهُ لم يخل احد مما اظهرهُ الريح اولًا لان الحصان المذكور كان ذا منظر ضئيل فلم يكن احد ليطمع في امتلاكهِ وهب انهم طمعوا فيـهِ ما كانوا ليدركوهُ لانهُ في دقائق قليلة قطع مسافة شاسعة فات فيها جهد اللاحقين

وفي مساء النهار قبل مغيب الشمس حُفرت حفرة عميقة تحت المشنقة ودفنت فيها جثة مالك واقام جوسلين ينظر اليها مدّه بضع دقائق وهو يتبسّم تبسّم التشفي ثم قال:

الآن يستطيع المقدم ان ينظر بصبر وتؤدة وجوع حاجبيه وكيف يُردُّ القبر زائره وكيف يتكلم الاموات. نصبتَ لي يا رزق الله فخًا فاحبطتُ خديعتك فاقم الآن على حذر ولسوف نعلم من ترجح يده كفّة الميزان

١٧

ولنعد الى الكلام عن بشراي فنقول انّ القوم فيما كانوا حتى ذاك الوقت يقيمون الاعياد فرحين بعودة المقدم رزق الله ظافرًا منصورًا وجميعهم ألسنة ناطقة بحمده لانهُ أبعد عن لبنان جائحة الحرب وكان الفلاح يتوقّع بمسرّة نموّ زرعه دون ان يخشى عليه هجوم عدوّ والامهات تعتني بتربية اطفالهنّ في سلام وسكينة بلا خوف من تعكُّر كأس صفائهنّ وعليه فان تلك الاشهر القليلة التي اظهر فيها المقدم حكمةً وثباتًا في التدبير كانت كافية لاحداث الثقة في كل محل وتأكيد الخصب والسلام في تلك الجبال الجميلة وقد نال هذه الشهرة برباطة جاشه وبالعقوبات الزاجرة التي انزلها بمن كانوا سببًا في اقلاق الراحة العمومية

ولمّا كان يوم الاحد جلس الامير رزق الله بحسب عادته الحميدة تحت السنديانة النابتة الى جانب الكنيسة الكبرى وجلس الى جانبه فرا غريغون الذي كان قد عاد حديثًا من سفرته الى اوربّة فاقبل المقدم يسألهُ عن رومية وعن الامراء الذين زارهم في جهات المغرب فجعل الراهب الفرنسيسي يقصّ عليه كيف انهُ لمّا كان في رومية وفد تجار من البندقية حاملين رسالةً من عزيز مصر الى الحبر الاعظم وكانت مكتوبة على نصف طلحيّة كبيرة وفي صدرها اعلام السلطان تليه العبارة الآتية: «ضاعف الله تعالى بهجة الحضرة السامية الباب الجليل القديس الروحاني الخاشع العامل بابا رومية عظيم الملّة المسيحيّة قدوة الطائفة العيسويّة يملّك ملوك النصرانيّة حافظ البحور والخلجان مَلاذ البطاركة والقسوس والرهبان تالي الانجيل معرّف طائفته التحريم والتحليل صديق

الملوك والسلاطين » (١ . وبعد الدعاء هذه الكلمات « صدرت هذه الكتابة عن الابواب الشريفة » وعلى اثر ذلك بسط الغرض المقصود مؤكدًا لقداسة الحبر الاعظم انهُ ينصر المسيحيين الافرنج في بلادهِ ويعطيهم ملء الحرّية في ممارسة شعائر ديانتهم وتجارتهم . ثم تشكّى من اعمال اللصوصية البحرية التي كان يأتيها بعض القرصان الجنويين وسأل البابا ان يتوسّط في المسألة منعًا لمثل هذه الحوادث

ولم يكن في رومية اذ ذاك من يعرف العربية سوى فرا غريفون فترجم الرسالة وعند عودتهِ الى الشرق اعطاهُ البابا جوابها الى سلطان مصر

ثمَّ ان فرا غريفون قصَّ ايضًا على المقدّم رزق الله مواجهته لدوق بورغوندية اميره الذي قابلهُ بما لا مزيد عليهِ من التجلّة والاكرام في مدينة بروج قاعدة مملكتهِ . وكان الدوق المشار اليهِ اقدر واغنى سلاطين اوربّة لذاك العهد وكانت ولايته شاملة للجكة وهولندة وعدّة أقاليم أخرى في شمالي فرنسة . وكان يهتم ايضًا بشؤون الشرق واحوالهِ لسببين اولهما دينيّ وهو احترامهُ للارض التي تقدّست بحياة المخلّص والثاني سياسيّ وهو رغبتهُ في توسيع العلائق التجاريّة لمالكهِ مع هذه الجهات (٢

ولمّا شاهد فرا غريفون الذي كان من جملة رعاياه خبيرًا بالأحوال التي يريد استيضاحها سُرَّ بهِ كثيرًا وأكرمهُ جدًّا وكان يفتكر وقتئذٍ في عقد تحالفة مع ملك العجم فلهذا لما قابلهُ مقابلة الوداع صرَّح لهُ بأنهُ قد اختارهُ سفيرًا من قبلهِ لدى بلاط اصفهان (٣

وكان المقدّم رزق الله يسمع حديث غريفون بشوق ولذة فلما دار الكلام على دوق بورغوندية قاطعهُ قائلًا:

انَّ سيدي الاب يوحنا وئيس دير القديسة تقلا كثيرًا ما كان يحكي لي عن الدوق فيليب الملقَّب بالصالح فهل هو حيٌّ للآن ؟

— أعطاك الله عمره وقد خانهُ ولدهُ يوحنَّا فلقبهُ الشعبُ بالجسور لشجاعتهِ . غير انَّ الاسم الذي ذكرتهُ ايها الامير فطنني الى مهمّة خطيرة كُلّفت بابلاغها اليك فقد كنَّا

---

١) عن صبح الاعشى للقلقشندي بحروفهِ ج ٤ ص ١٦٦

٢) راجع بارنت تاريخ دوقات بورغندية ٣) بارنت

نظنّ جميعاً ان الاب يوحنّا البـار ينتمي الى أسرةٍ شريفة في المغرب ففي سفرتي هذه وجدت انّ ظنّنا في محلّهِ لان الاب المذكور هو من انسباء درق بورغونية حتى انّ الدوق يوحنا بعينهِ سألني عن اخبارهِ فلم استطع ان اذكرَ لهُ سوى معلومات يسيرة مبهمة لاني كنت اجهل كلّ الجهل ما جرى لهُ في غيابي

— ليطمئن بالك يا أبي من قبلهِ لانّ صاحبي مالك قد سافر منذ اسبوع الى جبل الكلّام. وهو رجل صلب لا تعوقهُ الاخطار مهما كانت عن تنفيذ ما أُكلفهُ بهِ من المهمّات وانا الآن انتظر رجوعهُ من يوم الى آخر بذهاب صبر. . . !

وما كاد يتمّ هذه الكلمات حتى شاهد حصانًا راكضًا فأتى ووقف تجاه الجماعة المحيطين بالامير والاب غريفون فعرفهُ الكل وقالوا « هذا الريح هذا حصان مالك »

(ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

PUBLICATIONS DE L'ÉCOLE DES LANGUES VIVANTES

1° Le livre de la Création et de l'Histoire d'Abou Zeid al-Balkhi, *édité et traduit par C. Huart*, T II

كتاب البدء والتاريخ لابي زيد البلخي

2° Tarikh es-Soudan par Abderrahman es-Saadi *traduction française par O. Houdas*

تاريخ السودان لعبد الرحمان السدي (القسم الثاني)

اهدانا مكتب اللغات الشرقيّة الحيّة في باريس هذين الكتابين وقد مرّ في المشرق وصف اقسامها الاولى

١ (كتاب البدء والتاريخ لابي زيد البلخي) يتضمن هذا القسم الثاني من الفصل السابع الى التاسع من الاصل العربي وهو عبارة عن ٢٤٠ صفحة يُضاف اليها ترجمة افرنسيّة وفهارس (ص ٢١٦). وقد اثنينا على هذا الكتاب ومؤلفهِ ومتولي نشره وحسن طبعهِ ثناء طيباً (المشرق ٢: ١١٢٨) يصحّ كلهُ في هذا القسم الجديد. اما الاغلاط الطبعيّة والتصحيفات التي اشرنا اليها حينئذٍ فقد وجدنا مثلها في هذا الجزء كقولهِ (في الصفحة ٢٢): « اما معذّبة واما تُجلَد » والصواب « واما تَجلَدُ » اي

تجلّد. وكقوله (ص ٧): « فكان يرقع واللانك حولهُ » والصواب « واللانكُ » وغير ذلك. ومما يجدر ذكرهُ ان العلماء بعد بروز الجزء الاول من هذا الكتاب ارتابوا في مؤلفهِ فلم يثبت عندهم أهو لابي زيد البلخي ام لغيرهِ. وكان جناب المسيو هوارت استند في نسبة هذا التأليف لابي زيد الى قول ابن الوردي في خريدة العجائب. لكن هذه الشهادة متأخرة ينقضها قول غيرهِ ممن سبقوهُ والله اعلم

٢ (تاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي) هذا الجزء هو ترجمة افرنسيَّة غاية في الضبط لكتاب سبق لنا ذكرهُ في المشرق (٣: ٤٧٣). وقد ذيَّل جناب المترجم هذا القسم الثاني بحواشٍ عديدة مفيدة وختمهُ بفهرس عمومي لجميع الاعلام الواردة في الكتاب

تقويم المشرق

انجزت مطبعتنا الكاثوليكيَّة تقويماً جديداً تزفُّهُ الى قرَّاء المشرق كتذكرة للسنين الاربع التي مرَّت على هذه المجلة. والتقويم المذكور عبارة عن صفيحة طولها ٥٠ سنتيمترًا في عرض ٤٠ طُبعت على الحجر بخمسة الوان على هيئة شرقية بديعة وقد أُلصق عليها ٢٤ ورقةٍ لكل ١٥ يوماً ورقة تحتوي فضلاً عن اعياد السنة الحسابات الثلاث الغربي والشرقي والهجري مع شروق الشمس وغروبها على الحسابين العربي والفرنجي وفسحة بيضاء كمذكرة للاعمال اليوميَّة. وفي ظهر الاوراق فهرس المقالات التي وردت في المشرق مدَّة سنيهِ الاربع السابقة عن العلوم والفنون كافَّةً

ل. ش

شذرات

ذخائر القديس غريغوريوس المنوّر يؤخذ من التواريخ الارمنيَّة القديمة انَّ ترسيس الثالث بطريرك الارمن شيَّد سنة ٦٥٤ للميلاد كنيسة كبيرة في مدينة « ڤاغارشابات » حيث كان الكرسي البطريركي وخصَّص هذه البيعة لاكرام القديس غريغوريوس المنوّر وجعل فيها ذخائر رسول الارمن فوضع الرأس في تابوت من الحجر المانع وبنى فوقهُ المذبح الكبير. ثم قسَّم بقيَّة الذخائر اربعة اقسام جعل كل قسم منها تحت مذبح خاصّ. غير انَّ الحروب وآفات الزمان توالت على مدينة ڤاغارشابات فخربت مع كنيستها واضطرَّ الرهبان الذين كانوا متولّين سدانتها الى ان يلتجئوا الى

البلاد الغربية وكانوا اخذوا معهم قبل فرارهم جمجمة القديس غريغوريوس فنقلوها الى نابولي ثمَّ الى رومة وهي حتى اليوم تُكرَّم فيها

وبقيت الكنيسة المذكورة مجهولةً الى عهدنا حتى استدلَّ منذ سنتين على موقعها الاب داديان الارمني الغريغوري ارشيمندريت كرسي اشمياذين. فوجد في ايالة اريفان على مسافة ساعةٍ شرقاً من اشمياذين تلاًّ كان يظهر بين اطلاله آثار قديمة فحفر هناك فوجد بقايا هيكل عظيم قدَّر انهُ هو البناء الذي شيَّدهُ نرسيس لذكر القديس غريغوريوس. ولم يزل يجدّ في الحفر حتى ظهرت جدران الكنيسة واعمدتها في عدد ٩٠ عموداً ٦٤ منها في رواق الكنيسة و ٢٦ في داخلها. وللكنيسة المذكورة خمسة ابواب وخمسة مذابح. فتحقَّق الاب داديان انها الكنيسة المشيَّدة بهمَّة البطريرك نرسيس لاسيما بعد اكتشافه كتابتين يستفاد من الاولى تخصيص الكنيسة للقديس المذكور وعلى الثانية باليونانيَّة اسم البطريرك نرسيس. ثم اخذ يفتِّش عن ذخائر القديس غريغوريوس فوجدها الَّا الجمجمة التي سبق القول انها نُقلت الى رومية لكنهُ وجد الناووس الحجري تحت الهيكل الكبير فارغاً. ومما اكتشفهُ ايضاً جرن العماد والمرفه (السكرستيا) وآثار مسيحيَّة عديدة منها صلبان مصوَّرة بالفسيفساء وقناديل وكؤوس. ومنها مزولة اي ساعة شمسيَّة عليها احرف ارمنيَّة للدلالة على تقاسيم الزمان

وقد اكتشفوا ايضاً غربي هذا البناء قريباً منهُ على كنيسة أُخرى صغيرة يُرجَّح انها كانت منذ عهد القديس غريغوريوس اقامها للمؤمنين الاولين الذين انارهم بنور الايمان. وقد وجد الاب داديان في ردم هذه الكنيسة آثاراً عديدة وثنيَّة استنتج منها ان هذه الكنيسة كانت قديماً هيكلاً تُعبد فيه الاصنام فخصَّصهُ القديس غريغوريوس لعبادة الاله الحق. وهو امر يشهد به التاريخ. ومن جملة هذه الآثار كتابات عديدة بالارمنيَّة العتيقة واليونانيَّة. ومنها صفيحة كبيرة طولها متران و ٢٠ سنتيمتراً وعرضها ٦٢ س عليها كتابة بالخط المسماري ذات ٤٧ سطراً نُقلت الى هذا المكان من هيكل كان مبنيًّا في قديم العهد في مدينة خودرلو المدعوة اليوم قُطُرلي. وهي كتابة مهمة جدًّا اقامها الملك روزاس الثاني ابن ارغستيس معاصر سنحاريب ملك بابل في القرن الثامن قبل المسيح. ولا شك ان آثاراً أُخرى ستغني العالم اذا ما تمَّ الحفر

* النور * ارسل الينا من الكرك جناب الاديب عبد الله افندي عكشة بعض افادات عن جبل النور ننشرها قريباً ان شاء الله مع اعلامات اخرى. ونشكر سلفاً لجناب الكاتب همَّتهُ

قائمة للآثار الجوّية من ٦ الى ٢١ تشرين الثاني ١٩٠١

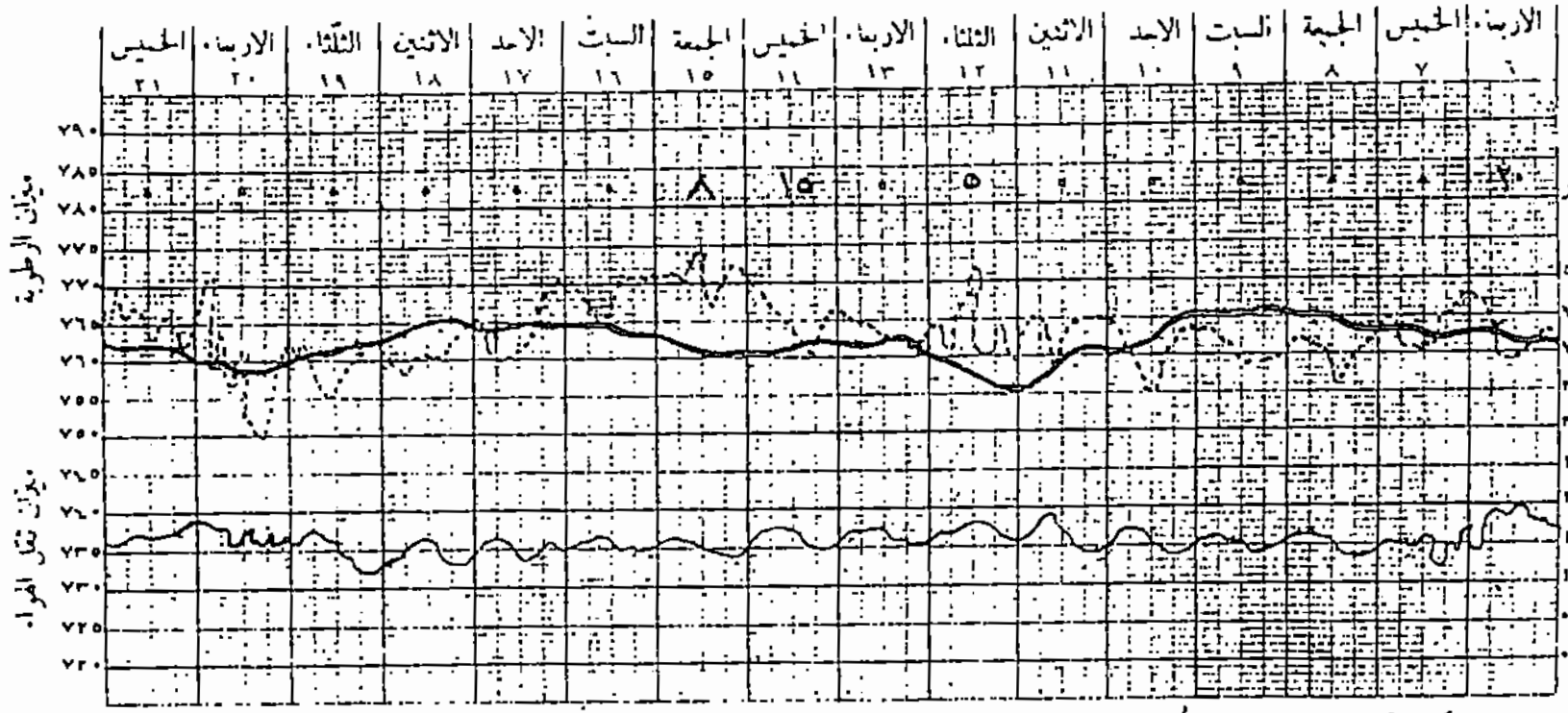

انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالباروميتر — والخطّ الرفيع المتتابع (— - —) على ميزان الحرارة (ترمومتر) اذا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هيغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها صفر المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات